مجلة شهرية

نـــــور يسوع المسيح المسيـــح XPIΣTOY الـمـالـب Φ Ω Σ

Issue No: 222 عدد:

December 2025 شهر كانون الأول

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

دخول السيِّدة العذراء إلَى الهيكل

هو عيد الدير

في ٢١ /١١ ش، الواقع في ١٢/٤ غ

دير خيلندار يو العامر للصرب الأرثوذكس في جبل آثوس - اليونان

تُحفَظُ فيه عصا القدّيسِ سابا المُتَقَدِّسِ التي سقطت من موضعِها فوق مدخل الكنيسة، بحسبِ التقليد عندَ دخولِ القدّيسِ سابا الصربيِّ إلى ديرِ القدّيسِ سابا في فلسطين اعترافًا بقداستِه

وأيقونةُ العذراءِ المُعجِزيَّةُ «ذاتُ الأيدي الثَّلاث»، التي أعادَتْ يدَ القدّيسِ يُوحَنَّا الدِّمشقيِّ بعد أن بُتِرَتْ ظُلمًا

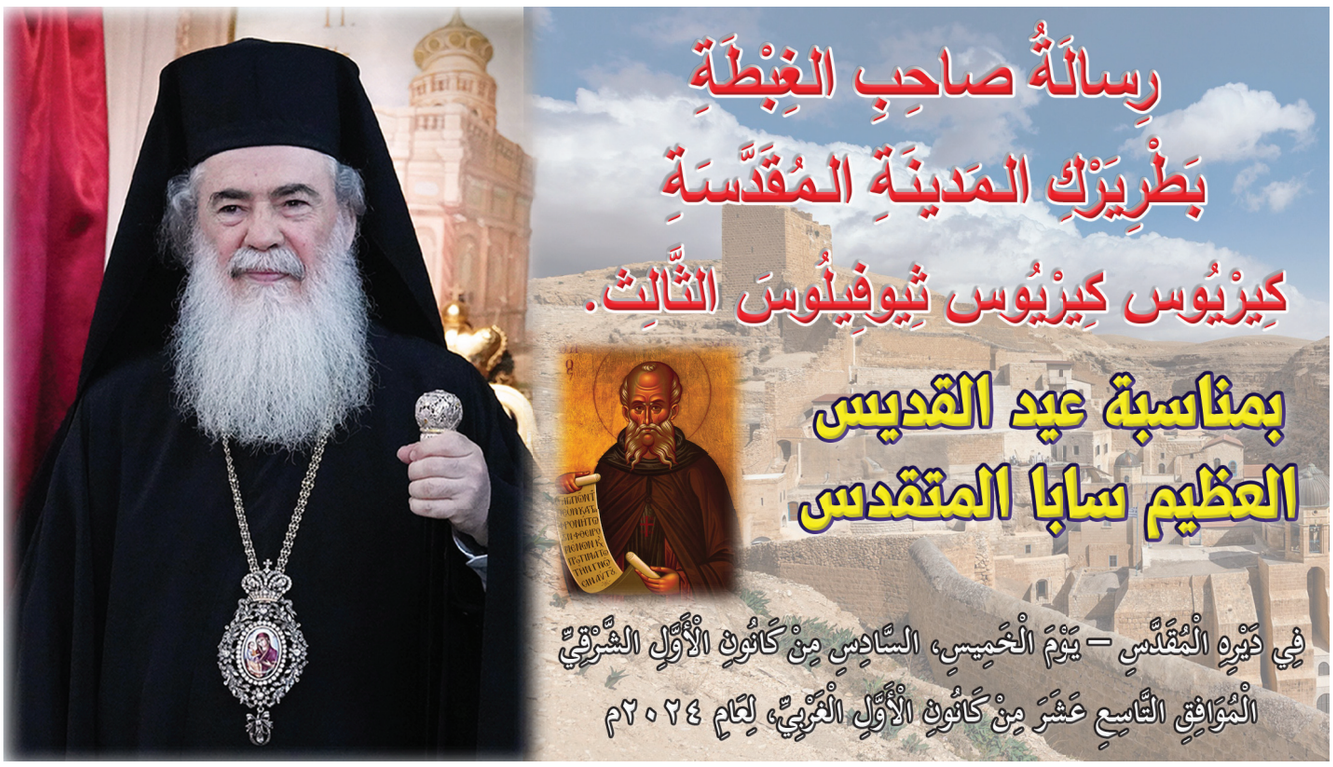

يقول **الحكيم سليمان**: « أَمَّا الصِّدِّيقُونَ فَسَيَحْيَوْنَ إِلَى الأَبَدِ، وَعِنْدَ الرَّبِّ ثَوَابُهُمْ، وَلَهُمْ عِنَايَةٌ مِنْ لَدُنِ الْعَلِيِّ. فَلِذلِكَ سَيَنَالُونَ مُلْكَ الْكَرَامَةِ، وَتَاجَ الْجَمَالِ مِنْ يَدِ الرَّبِّ، لأَنَّهُ يَسْتُرُهُمْ بِيَمِينِهِ وَبِذِرَاعِهِ يَقِيهِمْ.» (حكمة سليمان ٥: ١٥-١٦)

أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْمَحْبُوبُونَ فِي الْمَسِيحِ، الزُّوَّارُ الأَتْقِيَاءُ،

إِنَّ سابا الْمُتَقَدِّسَ، مُرْشِدَ الْمُتَوَحِّدِينَ، قَدْ جَمَعَنَا الْيَوْمَ فِي هٰذَا الْمَكَانِ الْمُبَارَكِ، فِي هٰذِهِ اللَّافْرَا الذَّائِعَةِ الصِّيتِ، لِنُعَيِّدَ لِتِذْكَارِهِ الْمُوَقَّرِ.

إِنَّ النِّعْمَةَ الإِلٰهِيَّةَ الْمَمْنُوحَةَ لِأَبِينَا الْمُتَوَشِّحِ سابا أَظْهَرَتْهُ مُعَادِلًا لِلْمَلَائِكَةِ، وَمَسْكَنًا لِلأَبْرَارِ، وَنَجِيَّ الأَنْبِيَاءِ، وَشَرِيكَ الرُّسُلِ وَالشُّهَدَاءِ فِي الْمِيرَاثِ؛ لِذٰلِكَ إِلَى كُلِّ الأَرْضِ خَرَجَ صَوْتُ أَعْمَالِهِ الْبَاهِرَةِ.

وَالشَّاهِدُ الصَّادِقُ عَلَى أَعْمَالِ أَبِينَا الْبَارِّ سابا هُوَ جَسَدُهُ الْمُقَدَّسُ، غَيْرُ الْفَاسِدِ وَغَيْرُ الْبَالِي، الْمَوْضُوعُ أَمَامَ نَوَاظِرِ أَعْيُنِنَا هٰهُنَا.

إِنَّ أَبَانَا الْبَارَّ سابا قَدْ نَشَأَ مِنْ كَبَّادُوكِيَا، وَارْتَبَطَتْ حَيَاتُهُ النُّسْكِيَّةُ مُنْذُ الطُّفُولَةِ بِأَرْضِ فِلَسْطِينَ الْمُقَدَّسَةِ مِنْ جِهَةٍ، وَمِنَ الْجِهَةِ الأُخْرَى تَعَرَّفَ إِلَى آبَاءِ الصَّحْرَاءِ الْعُظَمَاءِ وَمُعَلِّمِي الْبَرِّيَّةِ، مِثْلَ ثِيودوسيوس رَئِيسِ الأَدْيَارِ، وَجِيرَاسِيمُوسَ الأُرْدُنِيِّ، وَثِيُوكْتِيسْتُوسَ الْبَارِّ، وَالْعَظِيمِ أَفْثِيمِيُوسَ، الَّذِي عَلَّمَهُ أَسْرَارَ التَّقْوَى الإِلٰهِيَّةَ الَّتِي لَا تُوصَفُ، وَهِيَ الْحَيَاةُ فِي الْمَسِيحِ الَّتِي تُدْخِلُهُ إِلَى مُعَايَنَةِ مَجْدِ اللهِ. وَكَمَا يُؤَكِّدُ مُرَنِّمُهُ بِوُضُوحٍ، إِذْ يَقُولُ: «لَقَدْ حُفِظَتِ الصُّورَةُ الَّتِي خُلِقْتَ عَلَيْهَا غَيْرَ مُشَوَّهَةٍ، أَيُّهَا الْمَغْبُوطُ، وَجَعَلْتَ الْعَقْلَ بِالنُّسْكِ سَيِّدًا يَتَسَلَّطُ عَلَى الأَهْوَاءِ الْمُهْلِكَةِ، فَارْتَقَيْتَ حَتَّى بَلَغْتَ، عَلَى قَدْرِ الطَّاقَةِ، الْمِثَالَ أَيْضًا الَّذِي فُطِرْتَ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّكَ قَهَرْتَ الطَّبِيعَةَ وَكَبَحْتَ جُمُوحَهَا بِعَزْمٍ بَاسِلٍ، وَسَعَيْتَ فِي إِخْضَاعِ الأَدْنَى لِلأَفْضَلِ، وَجَعْلِ الْجَسَدِ طَوْعَ الرُّوحِ، فَسَكَنْتَ الْبَرِّيَّةَ، فَظَهَرْتَ هَامَةً لِلْمُتَوَحِّدِينَ، وَمُمَرِّنًا لِمَنْ يَبْتَغِي حُسْنَ السُّلُوكِ، وَدُسْتُورًا لِلْفَضِيلَةِ مَضْبُوطًا. فَأَنْتَ الآنَ، بَعْدَ انْحِلَالِ كَثَافَةِ الْمَادَّةِ، تُعَايِنُ فِي السَّمَاوَاتِ الثَّالُوثَ الْقُدُّوسَ بِصَفَاءٍ، وَتَتَشَفَّعُ بِلَا وَاسِطَةٍ فِي الَّذِينَ يُكْرِمُونَكَ عَنْ إِيمَانٍ وَارْتِيَاحٍ».

حَقًّا لَقَدْ ظَهَرَ سابا الْمُلْهَمُ مِنَ اللهِ دُسْتُورًا لِلْفَضِيلَةِ مَضْبُوطًا، لِأَنَّهُ أَصْغَى إِلَى إِنْجِيلِ إِلٰهِنا وَمُخَلِّصِنا يَسُوعَ الْمَسِيحِ الَّذِي يَدْعُو جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ إِلَى مَلَكُوتِهِ وَمَجْدِهِ. فَلَقَدِ اقْتَبَلَ الْبَارُّ سابا قَوْلَ هٰذَا الإِنْجِيلِ لَا كَكَلِمَةِ أُنَاسٍ، بَلْ كَمَا هِيَ بِالْحَقِيقَةِ كَكَلِمَةِ اللهِ، الَّتِي تَعْمَلُ أَيْضًا فِيكُمْ أَنْتُمُ الْمُؤْمِنِينَ (تسالونيكي ٢:١٣). وَبِحَسَبِ الْقِدِّيسِ الرَّسُولِ بُولُسَ، إِنَّ كَلِمَةَ اللهِ هٰذِهِ أَنَارَتْ وَقَوَّتْ وَثَبَّتَتْ خُطُوَاتِ الْقِدِّيسِ سابا لِعَمَلِ وَصَايَا اللهِ، لِتَرْتَقِيَ بِهِ وَتُدْخِلَهُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ، كَمَا يَقُولُ: «فَإِنَّ سِيرَتَنَا نَحْنُ هِيَ فِي السَّمَاوَاتِ» (فيلبي ٣: ٢٠). وَأَمَّا رَبُّنَا يَسُوعُ الْمَسِيحُ فَيُوصِي تَلَامِيذَهُ قَائِلًا: «الَّذِي عِنْدَهُ وَصَايَايَ وَيَحْفَظُهَا فَهُوَ الَّذِي يُحِبُّنِي، وَالَّذِي يُحِبُّنِي يُحِبُّهُ أَبِي، وَأَنَا أُحِبُّهُ، وَأُظْهِرُ لَهُ ذَاتِي» (يوحنا ١٤: ٢١).

يُفَسِّرُ الْقِدِّيسُ كِيرِلُّسُ الإِسْكَنْدَرِيُّ قَوْلَ الْمَسِيحِ: «وَأُظْهِرُ لَهُ ذَاتِي»، بِأَنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِالْمُعَايَنَةِ الَّتِي سَيَتَمَتَّعُ بِهَا أَنْقِيَاءُ الْقُلُوبِ؛ فَإِنَّ الرَّبَّ سَيُعْطِيهِمْ نُورًا يُضِيءُ لَهُمُ الطَّرِيقَ فِي كُلِّ مَا هُوَ وَاجِبٌ، وَذٰلِكَ بِرُوحِهِ.

وَمِنْ خِلَالِ هٰذَا النُّسْكِ صَارَ أَبُونَا الْبَارُّ سابا شَرِيكًا فِي الْمُعَايَنَةِ الإِلٰهِيَّةِ عَلَى مِثَالِ آدَمَ؛ إِذْ يَقُولُ الْقِدِّيسُ كِيرِلُّسُ: إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ لِغَرَضِ عَدَمِ الْفَسَادِ وَالْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ، وَكَانَتْ حَيَاتُهُ نَعِيمًا وَقَدَاسَةً فِي الْفِرْدَوْسِ، وَكَانَ عَقْلُهُ دَائِمًا فِي حَالِ الرُّؤْيَةِ الإِلٰهِيَّةِ، وَجَسَدُهُ فِي هُدُوءٍ وَسَلَامٍ؛ لِأَنَّ كُلَّ لَذَّةٍ وَشَهْوَةٍ فَاحِشَةٍ كَانَتْ مَكْظُومَةً سَاكِنَةً. وَلٰكِنْ لَمَّا سَقَطَ آدَمُ فِي الْخَطِيَّةِ، سَقَطَتِ الطَّبِيعَةُ الْبَشَرِيَّةُ أَيْضًا فِي مَرَضِ الْخَطِيَّةِ بِسَبَبِ عِصْيَانِ إِنْسَانٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ آدَمُ.

وَمِمَّا سَبَقَ يَتَبَيَّنُ أَنَّ الْمَسِيحَ الَّذِي قَالَ: «إِنِّي أَنَا حَيٌّ فَأَنْتُمْ سَتَحْيَوْنَ» (يوحنّا١٤: ١٩)، قَدْ حَقَّقَ بَعْدَ قِيَامَتِهِ مِنَ الأَمْوَاتِ لِطَبِيعَتِنَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَى حَالَتِهَا الأُولَى؛ وَهٰكَذَا حَقَّقَ لِلإِنْسَانِ عَدَمَ الْفَسَادِ، بِحَسَبِ الْقِدِّيسِ كِيرِلُّسَ الإِسْكَنْدَرِيِّ.

إِنَّ عَدَمَ الْفَسَادِ لِجَسَدِ الْمَسِيحِ الْمُمَجَّدِ، الَّذِي هُوَ جَسَدُ قِيَامَتِهِ، قَدْ طَابَقَهُ أَيْضًا أَبُونَا الْقِدِّيسُ سابا، الَّذِي هُوَ حَيٌّ وَيَنْعَمُ بِالْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ الَّتِي لَا تَنْتَهِي مَعَ سَيِّدِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ.

لِذٰلِكَ نَحْنُ الَّذِينَ نُكَرِّمُ تِذْكَارَ أَبِينَا الْبَارِّ الْقِدِّيسِ سابا الْمُتَقَدِّسِ الْيَوْمَ، نَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ وَنَسْتَشْفِعُ بِتَوَسُّلَاتِ سَيِّدَتِنَا وَالِدَةِ الإِلٰهِ الدَّائِمَةِ الْبَتُولِيَّةِ مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ، الْفَائِقَةِ الْبَرَكَاتِ الْمَجِيدَةِ، أَنْ تَتَشَفَّعَ إِلَى رَبِّنَا وَإِلٰهِنَا عَنْ نُفُوسِنَا وَمِنْ أَجْلِ السَّلَامِ فِي مَنْطِقَتِنَا، وَأَنْ يُؤَهِّلَنَا لِنُعَيِّدَ لِسِرِّ التَّدْبِيرِ الإِلٰهِيِّ الْعَظِيمِ غَيْرِ الْمَوْصُوفِ: مِيلَادِ إِلٰهِنَا وَمُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ فِي مَغَارَةِ بَيْتِ لَحْمٍ. آمِين.

كُلَّ عَامٍ وَأَنْتُمْ بِخَيْرٍ

مَعَ أَدْعِيَتِنَا وَبَرَكَاتِنَا الأُبَوِيَّةِ

البطريرك ثيوفيلوس الثالث

بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

الطَّغْمَاتُ الْمَلَائِكِيَّةُ فِي الْقُدَّاسِ الإِلَهِيِّ: حُضُورٌ وَتَسْبِيحٌ

صمت الملائكة

فَوْقَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُجْتَمِعِينَ فِي الْكَنِيسَةِ، حِينَ تَقِفُ النُّفُوسُ بِخُشُوعٍ وَخَوْفِ اللهِ وَاتِّضَاعٍ، تَرْتَفِعُ جُمُوعٌ غَيْرُ مَنْظُورَةٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَتُرَتِّلُ مَعَنَا؛ تَتَّحِدُ السَّمَاءُ بِالأَرْضِ، وَتَصِيرُ الصَّلَاةُ جِسْرًا مِنْ نُورٍ يَلْمَسُ عَرْشَ اللهِ. وَلٰكِنْ حِينَ يَنْسَى الإِنْسَانُ مَوْقِفَهُ، وَتَصِيرُ كَلِمَاتُهُ ثَرْثَرَةً أَوْ مِزَاحًا أَوْ نَمِيمَةً دَاخِلَ بَيْتِ الرَّبِّ، يَكُفُّ الْمَلَائِكَةُ عَنِ التَّرْتِيلِ وَيَمْتَلِئُونَ أَسًى وَحُزْنًا، لأَنَّهُمْ يُبْصِرُونَ النَّفْسَ قَدِ ابْتَعَدَتْ عَنِ النُّورِ، وَأُسِرَتْ بِالْبَاطِلِ، وَفَقَدَتِ الاحْتِرَامَ وَالْوَقَارَ وَالإِحْسَاسَ بِحُضُورِ اللهِ، وَيَقُولُونَ بِحُزْنٍ: «آهٍ، كيف اسْتُعْبِدَتْ هٰذِهِ النَّفْسُ! مَعَ أَنَّهَا قَائِمَةٌ أَمَامَ اللهِ، تَنْسَى نِعْمَتَهُ وَتَسْتَهْزِئُ بِقَدَاسَةِ الْمَكَانِ».

الرَّبُّ يَنْحَنِي مِنَ السَّمَاوَاتِ مُنْتَظِرًا صَلَاةً مُتَوَاضِعَةً وَشُكْرًا وَتَضَرُّعًا، وَلٰكِنْ بَدَلًا مِنْ ذٰلِكَ يَسْمَعُ كَلَامًا تَافِهًا وَأَصْوَاتًا فَاتِرَةً بِلَا حَرَارَةٍ رُوحِيَّةٍ. حِينَئِذٍ يَغْشَى الْحُزْنُ الْمَلَائِكَةَ، لأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ هٰذَا الإِنْسَانَ قَدْ خَسِرَ فُرْصَةَ الشَّرِكَةِ مَعَ النُّورِ.

فَلْيَتَذَكَّرْ كُلُّ مَنْ يَقِفُ فِي الْكَنِيسَةِ أَنَّ كُلَّ فِكْرٍ لَهُ وَكُلَّ كَلِمَةٍ يَنْطِقُ بِهَا تُسْمَعُ، لَا مِنَ النَّاسِ فَقَطْ، بَلْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ أَيْضًا؛ وَإِنْ سَكَتَتِ الأَرْضُ، فَالسَّمَاءُ تُرَتِّلُ مَعَهُ. القِدِّيسُ نِيفُونُ الْقُسْطَنْطِينِيُّ.

في صمت الكنيسة، يُسمَع صوت الله أقوى

يهوذا نموذج الناكر للقديس يوحنا الذهبي الفم وأيوب نموذج الشاكر

«**اللامبالون والناكرو الجميل** لا ينتفعون، ولا حتى من الخيرات الماديّة التي تُعينهم في الحياة اليوميّة... أمّا **الشاكرون وطيبو القلوب**، فينتفعون كثيرًا حتى من الأمور التي تُدهش الآخرين! وهذا نراه واضحًا في حالتي **يهوذا** و**أيوب**.

فيهوذا لم ينل الخلاص من **الرَّبِّ يسوع المسيح** الذي خلَّص المسكونة كلّها! **وأيوب** لم يتضرر حتى **من إبليس**، الذي أهلك كثيرين! **فأيوب** الذي أصابه شرٌّ لا يُحصى، تُوِّج بالمجد! أمّا **يهوذا** فقد: رأى عجائب كثيرة!

● صنع عجائب! ● طرد الشياطين! ● سمع تعاليم كثيرة عن ملكوت السماوات وعن الجحيم.

● وشارك وتناول في العشاء السري!

● وتمتّع بنعمة عظيمة وعناية خاصة (إذ كان أمين الصندوق)، أكثر حتى من الرسل بطرس ويعقوب ويوحنا، لكنه في النهاية صار **خائنًا**!

إذًا لا **المسيح** أفاد **يهوذا** لأنه كان **ناكرًا للجميل**!

ولا **الشيطان** أضرّ **بأيوب** لأنه كان **ممتلئًا شكرًا**!»

عيد دخول سيدتنا والدة الإله إلى الهيكل

(Εἴσοδος τῆς Θεοτόκου εἰς τὸν Ναόν)

الأعيادُ المريميَّةُ مناسبةُ فَرَحٍ لِلكنيسةِ جمعاء؛ ففيها **نُكرِّمُ والدةَ الإلَهِ**، الَّتي مَجَّدَتِ الجِنسَ البَشريَّ بقبولِها الدَّعوةَ الإلهيَّةَ لِلتَّجسُّد، **فَتَجَسَّدَ ابنُ اللهِ الكَلِمَةُ** وصارَ إنسانًا، وأشرَقَتْ لنا حِقبَةُ الخَلاصِ. «وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا» (يوحنا ١: ١٤).

عيدُ دخولِ **السيدةِ والدةِ الإله** إلى الهيكل يُذكِّرُنا بأنَّ **العذراءَ** هي الشخصُ المركزيُّ في عملِ خلاصِنا. فبدونِ حضورِها لكانَ رجوعُنا إلى الفردوس أمرًا شبهَ مستحيل.

لقد أُقرَّ هذا العيدُ المريميُّ المذكورُ أعلاه في القرنِ السادس في أورشليم، استنادًا إلى التقليدِ القديمِ للكنيسة، كما وردَ ذِكرُه أيضًا في كتاباتِ القديس صفرونيوس الأورشليميّ (٦٣٤–٦٣٨م).

في عيدِ دخولِ **السيدةِ والدةِ الإله** إلى الهيكل، نُكرِّمُ حدثَ تقدمةِ العذراءِ ذاتِ الثلاثِ سنواتٍ من قِبَلِ والديها إلى هيكلِ سليمان.

لقد وُلِدت **والدةُ الإله** من والدينِ شيخين، هما **يواكيم وحنّة**، اللذانِ تضرّعا إلى اللهِ أن يمنحَهما ولدًا يكرّسانه له في الهيكل.

ولمّا بلغت مريمُ الثالثةَ من عمرها، سلَّماها إلى يدَي الكاهن **زكريا**، والدِ **السابق الكريم يوحنا المعمدان**، فأدخلَها إلى قدسِ الأقداس لكي تتقدَّسَ وتتهيّأَ لتصيرَ فيما بعد **أمَّ الله** نفسِه.

في الأيقونةِ التي تُصوِّرُ حادثةَ دخولِ **السيدةِ والدةِ الإله** إلى الهيكل، نرى في الوسط العذراءَ كصبيَّةٍ صغيرةٍ في الثالثة من عمرها، ولكنها تحملُ في ملامحِها كلَّ قداسةِ الأمِّ الإلهيّة الآتية.

أمَّا الكاهن زكريّا، والدُ السابقِ الكريم يوحنا المعمدان فيما بعد، فيضعُ يدَهُ بخشوعٍ وحنانٍ على رأسِها، مباركًا إيَّاها ومُستقبلًا إيَّاها في قدسِ الأقداس، مرتديًا ثيابًا كهنوتيّةً ملوكيّةً وعلامةَ الكهنوتِ على رأسِه.

وتقفُ **العذراءُ** في صمتٍ مقدَّسٍ أمامه، ويداها مرفوعتانِ في وضعٍ تعبُّديٍّ مليءٍ بالوقار، فيما تُظهرُ استعدادَها وفرحَها بالتقدُّمِ إلى هيكلِ **الرَّبِّ**.

وبالخشوعِ نفسِه والانفعالِ المقدَّسِ نرى أيضًا في الأيقونةِ الوالدين الشيخين يواكيم وحنّة، يُسلِّمان ابنتَهما إلى يدي زكريّا الكاهن بحركةٍ تعبيريّةٍ عميقة، تُظهرُ استعدادَهما الكاملَ لإيفاءِ النذرِ الذي قدَّماه لله، ولتكريسِ طفلتِهما الوحيدةِ التي نالاها بعد سنينَ طويلةٍ من الصلاةِ والصوم، وفي شيخوخةٍ متقدِّمةٍ مليئةٍ بالإيمانِ والرجاء.

إنَّ عيدَ دخولِ **السيدةِ والدةِ الإله** إلى الهيكل يعلِّمُنا الصلاةَ كأسلوبِ حياةٍ، إذ تُصبحُ **العذراءُ** نفسها نموذجًا وتعليمًا في الصلاة.

فيواكيم وحنّة، وقد كانا يعانيان من مشكلةِ العُقم، كرَّسا حياتَهما في صلاةٍ مثابرةٍ ومُلحَّةٍ، لكي يسمعَ اللهُ طلبتَهما.

ولمّا استجابَ اللهُ صلاتَهما، قدَّما ابنتَهما ذاتَ الثلاثِ سنواتٍ إلى قدسِ الأقداس كتعبيرٍ عن شكرهما العميق لله واعترافٍ بفيضِ رحمته.

مع دخولِ **العذراءِ** إلى الهيكل تبدأ أيضًا صلاتُها اللامتناهية نحو الله.

فإذْ تدخلُ إلى قدسِ الأقداس، توجِّهُ عقلَها وتجمعُ كيانَها كلَّه في علاقةٍ حيّةٍ مع الله.

إنَّ صلاةَ **العذراء** حرَّةٌ تمامًا من كلّ ارتباطٍ ماديّ أو روحيّ دنيويّ، لأنَّها صارت أسلوبَ حياةٍ، وخبرةً شخصيّةً، وعلاقةً وجهًا لوجهٍ مع الله.

وفي الموضع المقدّس الذي كانت فيه، لم تكن هي من تتكلّم إلى الله بقدر ما كان اللهُ يتكلّم إليها.

تلك الخبرةُ العميقةُ في الصلاةِ هي التي قادت إلى تجسُّدِ **ابن اللهِ الكلمة لخلاصِ العالم**.

في زمنٍ يفقدُ فيه الإنسانُ القدرةَ على التواصلِ الحقيقيِّ مع قريبه، تُقدِّم الكنيسةُ عيدَ دخولِ **السيدةِ والدةِ الإله** إلى الهيكل كجوابٍ على أزمةِ التواصلِ المعاصرة.

إنَّ المجتمعَ الحديثَ يتّسمُ بعلاقاتٍ شخصيّةٍ مريضةٍ ومشوَّهةٍ، لذلك نحنُ مدعوّونَ لأن نفتحَ مساحةَ قلوبِنا، وهناك، في أعمقِ «قدسِ الأقداس» في كيانِنا، أن نصغيَ إلى رسائلِ الله.

في أعماقِ القلبِ تتجلّى الشركةُ الإلهيّة – الإنسانيّة، التي تهدفُ إلى لقاءِ الآخر في نهايةِ مسيرتنا الأرضيّة.

ومن خلالِ هذه الصلاةِ القلبيّة، مقتدينَ **بالعذراءِ** ذاتِ الثلاثِ سنواتٍ، يستطيعُ الإنسانُ أخيرًا أن يجدَ معنى الحياةِ الحقيقيّة الذي طالَما افتقدَه.

تفسير أيقونة دخول والدة الإله إلى الهيكل

بداية التدبير الإلهي

إنَّ الخِدْمَةَ الطَّقْسِيَّةَ الْمُقَدَّسَةَ لِعيدِ دُخُولِ **والِدَةِ الإِلَهِ** إِلَى الْهَيْكَلِ، وَالأَيْقُونَةَ الْمُرْتَبِطَةَ بِها، تَخْدِمانِ غايَةً أَعْمَقَ مِنْ مُجَرَّدِ تِذْكارٍ تاريخِيٍّ؛ فَهُما تَقودانِ الْمُؤْمِنَ إِلَى سِرٍّ يَفُوقُ الْفَهْمَ الْبَشَرِيَّ: سِرِّ التَّجَسُّدِ الإِلَهِيِّ، حَيْثُ يَدْخُلُ اللهُ ذَاتُهُ فِي تَارِيخِ الإِنْسانِ لِيُجَدِّدَ الْخَلِيقَةَ مِنَ الدَّاخِلِ.

وَإِنَّ دُخُولَ والِدَةِ الإِلَهِ إِلَى الْهَيْكَلِ هُوَ مُقَدَّمَةُ مَسَرَّةِ اللهِ تُجاهَ الْبَشَرِ، وَإِعْلانُ خَلاصِ الإِنْسانِ، وَبِشارَةُ الْمَسِيحِ الآتِي، وَتَحْقِيقُ مَشِيئَةِ التَّدْبِيرِ الإِلَهِيِّ. وَهذا ما يُعْلِنُهُ نَشِيدُ الْعِيدِ الطَّقْسِيُّ، إِذْ تَقُولُ الطُّرُوبارِيَّةُ:

«إِنَّ الْيَوْمَ مُقَدِّمَةُ مَسَرَّةِ اللهِ، وَبِدْءُ الْكِرازَةِ بِخَلاصِ الْبَشَرِ. فَإِنَّ الْعَذْراءَ قَدْ ظَهَرَتْ فِيهِ فِي هَيْكَلِ اللهِ، تُبَشِّرُ الْجَمِيعَ بِالْمَسِيحِ. فَلْنَهْتِفْ نَحْوَها بِصَوْتٍ جَهِيرٍ قائِلِينَ: اِفْرَحِي يا إِتْمامَ تَدْبِيرِ الْخالِقِ».

وَلَيْسَتِ الأَيْقُونَةُ مُجَرَّدَ لَوْحَةٍ دِينِيَّةٍ، بَلِ إِعْلانًا لاهُوتِيًّا مُصَوَّرًا عَنْ بَدْءِ سِرِّ الْخَلاصِ؛ فَالْكاتِبُ (الرَّسَّامُ) الأُرْثُوذُكْسِيُّ، مُسْتَنِدًا إِلَى الرِّواياتِ الْقَدِيمَةِ وَتَعْلِيمِ الْكَنِيسَةِ، يُؤَلِّفُ الْمَشْهَدَ الأَيْقُونِيَّ بِعُمْقٍ إِيمانِيٍّ، فَتَصِيرُ الأَلْوانُ وَالْخُطُوطُ لاهُوتًا صامِتًا يَنْطِقُ بِالرُّوحِ.

وَالشَّخْصُ الرَّئِيسِيُّ فِي الأَيْقُونَةِ هُوَ **والِدَةُ الإِلَهِ** ذاتُ الثَّلاثِ سِنِينَ؛ تُصَوَّرُ فِي اللَّحْظَةِ الَّتِي يَسْتَقْبِلُها فِيها الْكاهِنُ زَكَرِيَّا فِي الْهَيْكَلِ، ذاكَ الَّذِي سَيَصِيرُ لاحِقًا والِدَ السَّابِقِ يُوحَنَّا الْمَعْمَدانِ، بَيْنَما يُقَدِّمُها لَهُ والِداها الْوَرِعانِ بِتَقْوَى. وَخَلْفَهُمْ تَسِيرُ الْعَذارى الطّاهِراتُ، بَناتُ الْعِبْرانِيِّينَ، حامِلاتٍ الْمَشاعِلَ الْمُنِيرَةَ. هذِهِ الْمَشاعِلُ لَيْسَتْ لِلزِّينَةِ، بَلْ رَمْزٌ رُوحِيٌّ يُشِيرُ إِلَى مَرْيَمَ نَفْسِها الَّتِي سَتُصْبِحُ «الْمِصْباحَ الْعَقْلِيَّ»، حامِلَةَ النُّورِ الإِلَهِيِّ فِي أَحْشائِها. وَلِذلِكَ لا تُرْسَمُ كَطِفْلَةٍ حَسَبَ الْجَسَدِ، بَلْ كَامْرَأَةٍ ناضِجَةٍ بِالنِّعْمَةِ، لِأَنَّ الْهَدَفَ الأَيْقُونُوغْرافِيَّ لَيْسَ تَسْجِيلَ لَحْظَةٍ تاريخِيَّةٍ بَلْ إِعْلانَ حَقِيقَةٍ رُوحِيَّةٍ؛ فَهِيَ تُرْسَمُ بِالْمَعْفُورِ (الرِّداءِ) الأَحْمَرِ الدّاكِنِ ـ رَمْزِ الْمُلُوكِيَّةِ وَالْعِفافِ ـ وَقَدْ غُطِّيَ رَأْسُها وَكَتِفاها بِثَوْبِها الْمَعْرُوفِ الَّذِي تُزَيِّنُهُ ثَلاثُ نُجُومٍ ذَهَبِيَّةٍ تُشِيرُ إِلَى بُتُولِيَّتِها الدّائِمَةِ: قَبْلَ الْوِلادَةِ، وَأَثْناءَها، وَبَعْدَها. هكَذا تُقَدَّمُ لَنا مَرْيَمُ كَمَنِ اجْتازَتْ حُدُودَ الطَّبِيعَةِ، فَصارَتْ فَوْقَها بِالنِّعْمَةِ. (مَعْفُورِ: عَفَرَ الغَزَالُ: خَالَطَ بَيَاضُهُ حُمْرَةٌ، **مُعجم المعاني**).

وَفِي الْمَشْهَدِ نَفْسِهِ نَرى زَكَرِيَّا، رَمْزَ النُّبُوَّةِ، يَسْتَقْبِلُ الْعَذْراءَ وَيُدْخِلُها إِلَى قُدْسِ الأَقْداسِ؛ فَلَيْسَ يُدْخِلُ فَتاةً صَغِيرَةً إِلَى الْهَيْكَلِ، بَلْ يُقَدِّمُ لِلسَّماءِ الأَرْضَ الطّاهِرَةَ الَّتِي سَتَحْتَضِنُ **كَلِمَةَ اللهِ**. وَهُنا يَلْتَقِي الْكَهْنُوتُ الْقَدِيمُ بِبَداياتِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، إِذْ تُقَدَّمُ مَرْيَمُ لِلهِ كَذَبِيحَةِ حُبٍّ وَطاعَةٍ خالِصَةٍ.

وَيُعَبِّرُ الْمُرَنِّمُ الْكَنَسِيُّ عَنْ هذِهِ الْحَقِيقَةِ فِي الإِسْتِيخارِي الرّابِعِ مِنْ صَلاةِ الْغُروبِ، بِاللَّحْنِ الرّابِعِ، قائِلًا:

«إِنَّ الْفَتَياتِ يَتَقَدَّمْنَ الْيَوْمَ ماشِياتٍ أَمامَ الْعَذْراءِ الْمِصْباحِ الْعَقْلِيِّ، يَحْمِلْنَ الْمَصابِيحَ مَسْرُوراتٍ، وَيَدْخُلْنَ بِها إِلَى قُدْسِ الأَقْداسِ بِشَرَفٍ وَاحْتِرامٍ، رامِزاتٍ إِلَى الشُّعاعِ الْمُتَعَذِّرِ وَصْفُهُ، الْمُزْمِعِ أَنْ يُشْرِقَ مُنْبَعِثًا مِنْها، فَيُنِيرَ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الْجالِسِينَ فِي ظَلامِ الْجَهْلِ وَالْغَباوَةِ.». فَالْمَشاعِلُ هُنا تُعْلِنُ النُّورَ الآتِي مِنْ مَرْيَمَ، لِأَنَّ الْمَسِيحَ، نُورَ الْعالَمِ، سَيُشْرِقُ مِنْها لِيُنِيرَ الَّذِينَ فِي **الظُّلْمَةِ وَظِلالِ الْمَوْتِ**.

وَفِي بَعْضِ الأَيْقُونَاتِ تُرَى **وَالِدَةُ الإِلَهِ** جالِسَةً عَلَى عَرْشٍ صَغِيرٍ ذِي ثَلاثِ دَرَجاتٍ دَاخِلَ الْهَيْكَلِ، وَهِيَ تَنْتَظِرُ الطَّعامَ الَّذِي يَحْمِلُهُ لَها الْمَلاكُ جِبْرائِيلُ؛ وَيُظْهِرُها الْمَشْهَدُ كَتابُوتِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، لِأَنَّها تَسْكُنُ فِي قُدْسِ الأَقْداسِ وَتَتَغَذَّى مِنْ طَعامٍ سَماوِيٍّ، رَمْزِ النِّعْمَةِ الَّتِي تُهَيِّئُها لِاحْتِضانِ «الْخُبْزِ الْحَيِّ النّازِلِ مِنَ السَّماءِ». وَهكَذا نُدْرِكُ أَنَّ التّارِيخَ هُنا لا يُرْوَى بِالزَّمَنِ بَلْ يُكْتَبُ **بِالرُّوحِ الْقُدُسِ**؛ فَالطِّفْلَةُ الَّتِي تَصْعَدُ الدَّرَجاتِ نَحْوَ الْمَذْبَحِ إِنَّما تَرْفَعُ مَعَها الطَّبِيعَةَ الْبَشَرِيَّةَ كُلَّها نَحْوَ اللهِ؛ إِنَّها بَدايَةُ تَجَسُّدِ «**الْكَلِمَةِ**»، وَالتَّمْهِيدُ لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ، وَالإِعْلانُ بِأَنَّ السَّماءَ سَتَتَّحِدُ بِالأَرْضِ فِي شَخْصِها.

وَفِي هذا الْعِيدِ، تَتَجَلَّى أَمامَنا الطّاعَةُ الْكامِلَةُ وَالإِيمانُ النَّقِيُّ؛ لِأَنَّ مَرْيَمَ دَخَلَتِ الْهَيْكَلَ لا لِتَسْكُنَ فِيهِ فَحَسْبُ، بَلْ لِتُهَيِّئَ نَفْسَها لِتَصِيرَ هِيَ هَيْكَلَ اللهِ الْحَيِّ. وَمِنْ خِلالِها نَتَعَلَّمُ أَنَّ الدُّخُولَ إِلَى «قُدْسِ الأَقْداسِ» لَيْسَ عُبُورًا مَكانِيًّا، بَلْ عُبُورًا قَلْبِيًّا نَحْوَ الأَعْماقِ، حَيْثُ يَلْتَقِي الإِنْسانُ بِخالِقِهِ فِي سِرٍّ يَفُوقُ كُلَّ عَقْلٍ.

فَلْنَفْتَحْ نَحْنُ أَيْضًا أَبْوابَ قُلُوبِنا، وَلْنُقَدِّمْ لِلهِ ما قَدَّمَتْهُ **الْعَذْراءُ** فِي طُفُولَتِها: الطّاعَةَ وَالطَّهارَةَ وَالإِيمانَ؛ فَكُلُّ نَفْسٍ تُكَرِّسُ ذاتَها لِلهِ تَتَحَوَّلُ إِلَى هَيْكَلٍ يَسْكُنُ فِيهِ «**الْكَلِمَةُ**»، كَما سَكَنَ فِي **مَرْيَمَ الْقِدِّيسَةِ**.

القدّيس يوحنّا الدمشقيّ: منشِدُ اللاهوت الشعبيّ

عاشَ **القدِّيسُ يُوحَنَّا الدِّمَشْقِيُّ** ما بَيْنَ القَرْنَيْنِ السَّابِعِ وَالثَّامِنِ لِلْمِيلادِ، وَكانَ أَحَدَ أَكْثَرِ آباءِ كَنِيسَتِنا غِزارَةً فِي المَعْرِفَةِ وَمَيْلًا إِلَى النُّسْكِ. وَإِنَّ المَعْلُوماتِ المَوْثُوقَةَ عَنْ سِيرَةِ هٰذا الرّاهِبِ السُّورِيِّ الآتِي مِنْ دِمَشْقَ مَحْدُودَةٌ، وَهِيَ تَرِدُ فِي الأَساسِ فِي السِّنْكِسارَاتِ القَدِيمَةِ (أَيْ: السِّيَرِ الكَنَسِيَّةِ). وَقَدْ كانَ غَزِيرَ التَّأْلِيفِ جِدًّا، كَما أَنَّ إِسْهامَهُ فِي فَتْرَةِ **مُحارَبَةِ الأَيْقُوناتِ** جَعَلَهُ إِحْدَى أَبْرَزِ الشَّخْصِيّاتِ التّارِيخِيَّةِ فِي ذٰلِكَ العَصْرِ. وَإِنَّ تَعْلِيمَهُ المُناهِضَ لِلهَرْطَقاتِ، وَتَعَمُّقَهُ فِي الفَلْسَفَةِ، وَصِياغَتَهُ الدَّقِيقَةَ لِلتَّعْلِيمِ اللاهُوتِيِّ الَّذِي تَراكَمَ عَبْرَ سَبْعَةِ قُرُونٍ فِي عِباراتٍ واضِحَةٍ وَمُكَثَّفَةٍ، كُلُّ ذٰلِكَ جَعَلَهُ أَيْضًا مِنْ أَعْظَمِ الوُجُوهِ الفِكْرِيَّةِ فِي **الحَضارَةِ الرُّومِيَّةِ (البِيزَنْطِيَّةِ)** عَلَى وَجْهِ العُمُومِ.

وَمَعَ ذٰلِكَ، فَإِنَّ **الدِّمَشْقِيَّ** مَعْرُوفٌ أَيْضًا بِكِتابِ «**الأُكْتُويخوس**» الَّذِي يُنْسَبُ إِلَيْهِ. إِنَّهُ كِتابُ تَراتِيلَ لِيتُورْجِيٍّ يَضُمُّ أَناشِيدَ القِيامَةِ عَلَى امْتِدادِ السَّنَةِ الطَّقْسِيَّةِ كُلِّها. أَمَّا «الأُكْتُويخوس» فَيُشَكِّلُ جَوْهَرَ الكِتابِ الطَّقْسِيِّ المَعْرُوفِ بِاسْمِ «البَاراكْلِيتِيكِيِّ»، الَّذِي يُسْتَعْمَلُ فِي العِبادَةِ، وَالَّذِي يَضُمُّ؛ إِلَى جانِبِ تَراتِيلِ الدِّمَشْقِيِّ؛ قَصائِدَ شِعْرِيَّةً لِمُنْشِدِينَ آخَرِينَ بارِزِينَ، مِثْلَ **مثلَ الإمبراطورِ لِيُونَ السّادسِ الحَكيمِ (باليونانية: Σοφός، تلفظ: Sophos؛ أي: العليمُ واسعُ الثقافة)، وَكُونْسْتانْتِينَ السَّابِعِ بُورْفِيرُوجِنِّيتُوس**، وَغَيْرِهِما.

غَيْرَ أَنَّ التَّراتِيلَ الكَنَسِيَّةَ الصّادِرَةَ عَنْ يَدِ الدِّمَشْقِيِّ، وَكَذٰلِكَ عُمُومُ التَّراتِيلِ الوارِدَةِ فِي جَمِيعِ الكُتُبِ الطَّقْسِيَّةِ لِكَنِيسَتِنا، كَالْمِيناوُنِ وَالتِّرْيودِيِّ وَالخَمْسِينِيَّةِ (بَانْتِيكُوسْتِي)، لَيْسَتْ مُجَرَّدَ إِبْداعاتٍ خاضِعَةٍ لِقَواعِدَ شِعْرِيَّةٍ أَوْ أَوْزانٍ فَنِّيَّةٍ، بَلْ هِيَ، بِالإِضافَةِ إِلَى ذٰلِكَ، التَّجَلِّي المُوجَزَ وَالشَّخْصِيَّ لِلاهُوتِ الأُرْثُوذُكْسِيِّ وَلِخِبْرَةِ الكَنِيسَةِ المُمْتَدَّةِ عَبْرَ قُرُونٍ وُجُودِها كُلِّها. أَيْ إِنَّ كُتّابَ التَّراتِيلِ المُخْتَلِفِينَ، الَّذِينَ كانُوا بِحَسَبِ الضَّرُورَةِ وَالقاعِدَةِ قِدِّيسِينَ وَمُثَقَّفِينَ فِي يَنابِيعِ الكَنِيسَةِ، كانُوا يَتَوَلَّوْنَ مَهَمَّةَ إِعادَةِ صِياغَةِ تَعالِيمِ اللاّهُوتِ وَالأَحْداثِ الكَنَسِيَّةِ الكُبْرَى وَالمَجامِعِ وَتَعالِيمِ الآباءِ بِلُغَةٍ بَسِيطَةٍ وَشِعْرِيَّةٍ صالِحَةٍ لِلإِنْشادِ اللِّيتُورْجِيِّ.

وَقَدْ لُوحِظَ أَيْضًا أَنَّهُ فِي تِلْكَ الحِقْبَةِ الَّتِي ازْدَهَرَ فِيها كِبارُ المُرَنِّمِينَ، لَمْ تَكُنْ قَدْ وُجِدَتْ بَعْدُ فِئَةٌ إِضافِيَّةٌ مِنَ المُلَحِّنِينَ كَما هُوَ الحالُ اليَوْمَ؛ أَيِ الَّذِينَ يَضَعُونَ الأَلْحانَ عَلَى التَّراتِيلِ المَكْتُوبَةِ. بَلْ كانَ المُرَنِّمُونَ أَنْفُسُهُمْ هُمُ الَّذِينَ يُلْبِسُونَ أَناشِيدَهُمُ الأَلْحانَ المُوسِيقِيَّةَ. وَلِهٰذا كانَتْ قِيمَتُهُمْ وَمُساهَمَتُهُمْ فِي تُراثِ الكَنِيسَةِ عَظِيمَتَيْنِ.

فَالدِّمَشْقِيُّ، إِذًا، لَمْ يَكُنْ مُجَرَّدَ كاتِبِ تَراتِيلَ، بَلْ كانَ أَيْضًا شَخْصِيَّةً حاسِمَةً فِي المَيادِينِ اللاّهُوتِيَّةِ وَالعِلْمِيَّةِ فِي عَصْرِهِ؛ إِذْ إِنَّهُ أَعادَ – مَرَّةً أُخْرَى – جَمْعَ وَصِياغَةَ التَّعْلِيمِ اللاّهُوتِيِّ لِلْكَنِيسَةِ كَما كانَ إِلَى زَمانِهِ، وَكَتَبَ مُؤَلَّفاتٍ فَلْسَفِيَّةً تَحْلِيلِيَّةً تُشْبِهُ فِي مَنْهَجِها **أَعْمالَ أَرِسْطُو**. غَيْرَ أَنَّ يُوحَنَّا يُعْتَبَرُ أَيْضًا ذا أَهَمِّيَّةٍ كُبْرَى فِي مَجالِ التَّرْتِيلِ الكَنَسِيِّ، لِلسَّبَبِ عَيْنِهِ الَّذِي يَجْعَلُهُ عَظِيمًا فِي اللاّهُوتِ.

فَكَما فِي الأُمُورِ اللاّهُوتِيَّةِ، هٰكَذا أَيْضًا فِي الشِّعْرِ الكَنَسِيِّ، نَرَى هٰذا الرّاهِبَ السُّورِيَّ الذَّكِيَّ قَدْ أَعادَ تَلْخِيصَ اللاّهُوتِ الكَنَسِيِّ كُلِّهِ فِي مُؤَلَّفاتِهِ، وَبِالْمِثْلِ فِي مِيدانِ التَّراتِيلِ وَضَعَ أَناشِيدَ مِنْ شَأْنِها أَنْ تُصْبِحَ جَوْهَرَ الدَّوْرَةِ الطَّقْسِيَّةِ السَّنَوِيَّةِ لِعِبادَةِ الكَنِيسَةِ. إِنَّ **يُوحَنَّا الدِّمَشْقِيَّ** هُوَ بِلا شَكٍّ أَحَدُ أَكْثَرِ كُتّابِ التَّراتِيلِ غَزارَةً بَيْنَ الَّذِينَ مَا تَزالُ أَناشِيدُهُمُ الكَنَسِيَّةُ قَيْدَ الاسْتِعْمالِ فِي كَنِيسَتِنا اليَوْمَ. بَلْ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَقُولَ إِنَّهُ صَوْتُ الشَّعْبِ؛ فَهُوَ الَّذِي حَوَّلَ النُّصُوصَ اللاّهُوتِيَّةَ السّامِيَةَ إِلَى تَراتِيلَ مُوجَزَةٍ وَمَنْظُومَةٍ بِإِتْقانٍ مُوسِيقِيٍّ، وَجَعَلَها عَلَى أَلْسِنَةِ المُؤْمِنِينَ. إِذْ إِنَّ التَّراتِيلَ الكَنَسِيَّةَ هِيَ بِلا شَكٍّ مُلْكٌ لِلشَّعْبِ، لِأَنَّها تُرَتَّلُ مِنَ الإِكْلِيرُوسِ الأَدْنَى (أَيِ المُرَتِّلِينَ) لِكَيْ يَسْمَعَها وَيَعِيشَها الشَّعْبُ المُؤْمِنُ قَبْلَ كُلِّ أَحَدٍ.

فِي العُصُورِ القَدِيمَةِ مِنْ حَياةِ الكَنِيسَةِ، كانَ عَدَدُ التَّراتِيلِ قَلِيلًا، وَكانَ الشَّعْبُ نَفْسُهُ هُوَ الَّذِي يُرَتِّلُها فِي الصَّلَواتِ الأُولَى، إِذْ لَمْ يَكُنْ هُناكَ بَعْدُ طَغْمَةٌ خاصَّةٌ مِنَ المُرَتِّلِينَ.

أَمَّا الصَّلَواتُ الكَهَنُوتِيَّةُ وَالإِعْلانَاتُ الطَّقْسِيَّةُ، فَلَيْسَتْ مُوَجَّهَةً دائِمًا إِلَى الشَّعْبِ، بَلْ فِي بَعْضِ الحالاتِ إِلَى الكَهَنَةِ فِيما بَيْنَهُمْ (كَما فِي القَوْلِ: «بارِكْ أَيُّها السَّيِّدُ»، الَّذِي يَقُولُهُ الشَّمَّاسُ لِلأُسْقُفِ)، أَوْ إِلَى

اللهِ نَفْسِهِ، الَّذِي تُرْفَعُ إِلَيْهِ الصَّلَوَاتُ سِرًّا أَوْ جَهْرًا.

فَلْنَنْظُرْ إِذًا إِلَى بَعْضِ الأَمْثِلَةِ المُمَيَّزَةِ مِنْ **بَرَاعَةِ يُوحَنَّا الدِّمَشْقِيِّ** فِي الصِّيَاغَةِ اللِّيتُورْجِيَّةِ. يَقُولُ فِي نَشِيدٍ لِيَوْمِ السَّبْتِ عَلَى اللَّحْنِ الأَوَّلِ فِي الأَبُوسْتِيخُن، سْتِيخِيرَاتِ القِيَامَةِ:«**أَيُّهَا المَسِيحُ، بِآلَامِكَ نَجَوْنَا مِنَ الآلَامِ، وَبِقِيَامَتِكَ خَلَصْنَا مِنَ الفَسَادِ. فَيَا رَبُّ، المَجْدُ لَكَ.**» إِنَّ هٰذِهِ العِبَارَةَ القَصِيرَةَ وَالمُوجَزَةَ تَحْتَوِي، بِطَرِيقَةٍ وَاضِحَةٍ وَبَسِيطَةٍ، كُلَّ العَمَلِ الأَرْضِيِّ **لِلإِلٰهِ المُتَأَنِّسِ يَسُوعَ المَسِيحِ**، أَي آلَامَهُ وَقِيَامَتَهُ، اللَّذَيْنِ بِهِمَا نَالَتِ البَشَرِيَّةُ الفِدَاءَ مِنْ قُيُودِ إِبْلِيسَ، وَقَامَتْ مَعَهُ إِلَى حَيَاةٍ جَدِيدَةٍ.

وَمِنْ تَرَاتِيلِ مَسَاءِ السَّبْتِ عَلَى اللَّحْنِ الثَّالِثِ «ذُوكصَا كِينِين»، هٰذِهِ الثَّاوطُوكِيَّةُ العَقَائِدِيَّةُ: «**إِنَّهُ لَعَجَبٌ عَظِيمٌ: الوَالِدَةُ بَتُولٌ، وَالمَوْلُودُ إِلَهٌ قَبْلَ الدُّهُورِ. الوِلادَةُ ظَاهِرَةٌ، وَالأَمْرُ الوَاقِعُ هُوَ خَارِقُ الطَّبِيعَةِ. فِيا له من سِرٍّ رهيب يُفْهَمُ، وَهُوَ لَا يُفَسَّرُ، وَيُبْصَرُ، وَهُوَ لَا يُدْرَكُ. فَطُوبَاكِ أَيَّتُهَا الفَتَاةُ الطَّاهِرَةُ، الَّتِي ظَهَرْتِ ابْنَةً لِآدَمَ الأَرْضِيِّ، وَأُمًّا لِلإِلٰهِ العَلِيِّ. فَإِلَيْهِ تَضَرَّعِي فِي خَلَاصِ نُفُوسِنَا.**».

إِنَّ هٰذَا النَّشِيدَ يُعَبِّرُ بِوُضُوحٍ عَنِ **الإِيمَانِ بِوَالِدَةِ الإِلٰهِ الكُلِّيَّةِ القَدَاسَةِ**. وَفِي حَيِّزٍ لَفْظِيٍّ قَصِيرٍ يُورِدُ أَهَمَّ مَا يَخْتَصُّ بِهَا: أَيْ وِلادَتَهَا الفَائِقَةَ لِلطَّبِيعَةِ، وَمُشَارَكَتَهَا فِي سِرِّ الخَلَاصِ العَظِيمِ، وَالطُّوبَى الَّتِي نَالَتْهَا، وَشَفَاعَتَهَا الَّتِي لا تَنْقَطِعُ.

ملحوظة: في هذه الفقرة يُظهِر الكاتبُ أنَّ يوحنّا الدِّمشقيّ لم يكن يكتبُ شعرًا فنِّيًّا فحسب، بل لاهوتًا شعريًّا يجمع بين العقيدةِ والخبرةِ الروحيّة. فالترتيلةُ تُلخِّصُ أربعَ حقائقَ مريميّةٍ كبرى وهي: **١) الولادةُ البتوليةُ الفائقةُ للطبيعة. ٢) اشتراك والدة الإله في التدبير الخلاصيّ. ٣) الطُّوبى والتمجيد الأبديّ للعذراء. ٤) الشفاعة المستمرّة لأجل العالم.**

هذه العناصرُ الأربعةُ تُشكِّلُ جوهرَ العقيدةِ الأرثوذكسيّةِ في والدةِ الإله، كما أقرَّهُ المجمعُ المسكونيُّ الثالثُ (أفسس، ٤٣١م)، وكما كرَّسَهُ شعرُ يوحنّا الدِّمشقيِّ في تراتيله. (انتهت الملحوظة).

وَفِي الخِتَامِ، يَقُولُ أَحَدُ تَرَاتِيلِ قَانُونِ القِيَامَةِ لِيَوْمِ الأَحَدِ عَلَى اللَّحْنِ الرَّابِعِ الواسِعِ:«**كَيْفَ لَا نَعْجَبُ مِنْ لَاهُوتِ المَسِيحِ القَدِيرِ؟ فَإِنَّهُ قَدْ أَفَاضَ لِلْمُؤْمِنِينَ كُلَّهُمْ: أَمَّا مِنَ الآلَامِ فَعَدَمَ التَّأَلُّمِ وَعَدَمَ البِلَى، وَأَمَّا مِنْ جَنْبِهِ المُقَدَّسِ فَعَيْنُ عَدَمِ المَوْتِ، وَأَمَّا مِنَ القَبْرِ فَالْحَيَاةُ السَّرْمَدِيَّةُ.**».

إِنَّ البَحْثَ الحَدِيثَ فِي مِجَالِ التَّرَاتِيلِ وَالمُوسِيقَى الكَنَسِيَّةِ يُظْهِرُ اهْتِمَامًا كَبِيرًا بِهٰذِهِ الظَّاهِرَةِ الفَرِيدَةِ: كَيْفَ أَمْكَنَ لِلنُّصُوصِ اللَّاهُوتِيَّةِ الدَّقِيقَةِ وَالعَمِيقَةِ وَالمُعَقَّدَةِ. الَّتِي تَمْتَدُّ أَحْيَانًا عَلَى صَفَحَاتٍ طَوِيلَةٍ مِنْ كِتَابَاتِ الآبَاءِ أَوْ أَعْمَالِ المَجَامِعِ. أَنْ تَتَحَوَّلَ إِلَى إِبْدَاعَاتٍ شِعْرِيَّةٍ مَوْزُونَةٍ وَمُنَغَّمَةٍ، بَسِيطَةٍ وَسَهْلَةِ الفَهْمِ لَدَى الشَّعْبِ؟

تَطْرَحُ الدِّرَاسَاتُ الحَدِيثَةُ أَسْئِلَةً مُحَدَّدَةً وَوَاضِحَةً حَوْلَ هٰذِهِ الظَّاهِرَةِ:

ماذا يَحْدُثُ تَحْدِيدًا لِمَضْمُونِ النُّصُوصِ اللَّاهُوتِيَّةِ أَثْنَاءَ تَحْوِيلِهَا إِلَى تَرَاتِيلَ شِعْرِيَّةٍ؟

وَلِمَاذَا تُسْتَخْدَمُ التَّرَاتِيلُ لِلتَّعْبِيرِ عَنِ اللَّاهُوتِ وَإِيصَالِهِ إِلَى الشَّعْبِ فِي الكَنِيسَةِ؟

هَلْ يُعْتَبَرُ النَّشِيدُ هُوَ اللُّغَةُ الأَسَاسِيَّةُ، أَوِ المُمَتَازَةُ لِلَّاهُوتِ؟

أَمَّا مِنَ النَّاحِيَةِ المُوسِيقِيَّةِ العَمَلِيَّةِ، فَهَلْ تُوجَدُ أَوْزَانٌ مُحَدَّدَةٌ أَوْ أَنْمَاطٌ مُوسِيقِيَّةٌ مَقْصُودَةٌ فِي تَرْكِيبِ هٰذِهِ الأَنَاشِيدِ؟

وَكَيْفَ تُؤَثِّرُ المُوسِيقَى الَّتِي تُرَافِقُ النَّصَّ فِي نَفْسِ الإِنْسَانِ، وَمَا المَشَاعِرُ الَّتِي تُثِيرُهَا فِيهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى المَعَانِي الإِلٰهِيَّةِ الَّتِي تَحْتَوِيهَا التَّرَاتِيلُ؟

عاشَ **القِدِّيسُ يُوحَنَّا الدِّمَشْقِيُّ** فِي مُنْتَصَفِ الفَتْرَةِ الَّتِي بَلَغَتْ فِيهَا الإِمْبِرَاطُورِيَّةُ الرُّومِيَّةُ المَسِيحِيَّةُ ذِرْوَةَ ازْدِهَارِهَا. وَقَدْ سَاعَدَتْهُ هٰذِهِ الظَّرْفِيَّةُ التَّارِيخِيَّةُ المُمَيَّزَةُ عَلَى أَنْ يَكُونَ عَمَلُهُ عَلَى مُسْتَوَى مُوَازٍ لِعَظَمَةِ عَصْرِهِ. فَقَدْ كَانَ، بِلُغَةِ عَصْرِنَا اليَوْمَ، مُوسُوعِيًّا فِي اللَّاهُوتِ وَالفَلْسَفَةِ، كَمَا كَانَ أَيْضًا أَسْمَى مُمَثِّلٍ لِلشِّعْرِ الكَنَسِيِّ فِي الكَنِيسَةِ، إِذِ اسْتَعْمَلَتِ الكَنِيسَةُ أَنَاشِيدَهُ اللَّاهُوتِيَّةَ، بِوَصْفِهِ دَاوُدًا جَدِيدًا، لِتُعَبِّرَ بِهَا عَنْ إِيمَانِ شَعْبِهَا المَسِيحِيِّ **المُؤْمِنِ بِالمَسِيحِ**. إِنَّهُ بِحَقٍّ كَاتِبُ تَرَاتِيلِ اللَّاهُوتِ الشَّعْبِيِّ، وَهُوَ المُلَقَّبُ بِ **«مَجْرَى الذَّهَبِ»**. وَعَلَى رَغْمِ كَثْرَةِ الأَبْحَاثِ حَوْلَ الشِّعْرِ الكَنَسِيِّ، تَبْقَى **شَخْصِيَّةُ يُوحَنَّا الدِّمَشْقِيِّ مُتَمَيِّزَةً**؛ إِذْ جَمَعَ بَيْنَ التَّعْلِيمِ اللَّاهُوتِيِّ العَمِيقِ وَالتَّعْبِيرِ الشِّعْرِيِّ البَسِيطِ الَّذِي يَفْهَمُهُ الشَّعْبُ.

المصدر: استند هذا المقال إلى كتابات القدّيس يوحنّا الدمشقيّ في مجموعة الآباء اليونان (PG)، وإلى دراسات لاهوتيّة وبيزنطيّة حول التراتيل والموسيقى الكنسيّة.

بَعْدَ **القُدَّاسِ الإِلٰهِيِّ لِلقِدِّيسِ يُوحَنَّا الذَّهَبِيِّ الفَمِ**: هٰكَذَا يَنْبَغِي لَنَا نَحْنُ المَسِيحِيِّينَ أَنْ نَخْرُجَ مِنْ هُنَا، مِنَ الهَيْكَلِ، كَأَنَّنَا نَخْرُجُ مِنْ قُدْسِ الأَقْدَاسِ، وَكَأَنَّنَا هَبَطْنَا تَوًّا مِنَ السَّمَاوَاتِ عَيْنِهَا؛ أَيْ أَنْ نَصِيرَ مُسْتَجْمِعِي الفِكْرِ وَمُتَعَقِّلِينَ، وَأَنْ يَكُونَ كُلُّ مَا نَفْعَلُهُ وَكُلُّ مَا نَقُولُهُ جَارِيًا بِانْسِجَامٍ وَنِظَامٍ.

وَهٰكَذَا، عِنْدَمَا تَرَى الزَّوْجَةُ زَوْجَهَا خَارِجًا مِنَ الاِجْتِمَاعِ المُقَدَّسِ لِلكَنِيسَةِ، وَيَرَى الأَبُ ابْنَهُ وَالابْنُ أَبَاهُ، وَالخَادِمُ سَيِّدَهُ، وَالصَّدِيقُ صَدِيقَهُ، وَالعَدُوُّ عَدُوَّهُ، فَلْيُدْرِكْ جَمِيعُ هٰؤُلَاءِ مِنْ سُلُوكِنَا مِقْدَارَ المَنْفَعَةِ الرُّوحِيَّةِ الَّتِي نِلْنَاهَا مِنِ اشْتِرَاكِنَا فِي العِبَادَةِ. وَسَيُدْرِكُونَ ذٰلِكَ إِذَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّنَا صِرْنَا أَكْثَرَ وَدَاعَةً، وَأَحْسَنَ تَدْبِيرًا، وَأَشَدَّ وِرْعًا.

تَفَهَّمْ أَيَّ خِدْمَةٍ مُقَدَّسَةٍ وَسِرِّيَّةٍ تَتَمَتَّعُ بِهَا أَنْتَ أَيُّهَا المَسِيحِيُّ المُعَمَّدُ. مَعَ مَنْ تَرْفَعُ تِلْكَ النَّغْمَةَ السِّرِّيَّةَ؟ وَمَعَ مَنْ تُرَتِّلُ تَرْنِيمَةَ «المُثَلَّثِ التَّقْدِيسِ»؟! بِسِيرَتِكَ كُلِّهَا وَوَقَارِكَ عَلِّمِ الغُرَبَاءَ أَنَّكَ رَتَّلْتَ مَعَ السَّرَافِيمِ، وَأَنَّكَ تَنْتَمِي إِلَى الجَوْقَةِ السَّمَاوِيَّةِ وَالمَلَائِكِيَّةِ، وَأَنَّكَ حَادَثْتَ **رَبَّ الكُلِّ** وَسَيِّدَهُ، **الإِلٰهَ**، وَأَنَّكَ **خَالَطْتَ المَسِيحَ**.

عِيدُ حَبَلِ القِدِّيسَةِ حَنَّةَ بِالسَّيِّدَةِ وَالِدَةِ الإِلَهِ مَرْيَمَ العَذْرَاءِ

عِيدُ حَبَلِ القِدِّيسَةِ حَنَّةَ **بِوَالِدَةِ الإِلَهِ** لا يُمْكِنُ النَّظَرُ إِلَيْهِ بِمَعْزِلٍ عَنِ الأَحْدَاثِ الخَلَاصِيَّةِ الكَوْنِيَّةِ الَّتِي **دَبَّرَهَا الرَّبُّ** لِإِعَادَةِ الإِنسَانِ إِلَى حَالَتِهِ الأَصِيلَةِ، أَيْ إِلَى وَاقِعِهِ مَا قَبْلَ السُّقُوطِ.

فَإِنْ كَانَتْ بِدَايَةُ تَحْقِيقِ **تَدْبِيرِ اللهِ** هِيَ يَوْمَ البِشَارَةِ، حِينَ **تَجَسَّدَ الكَلِمَةُ** غَيْرُ المُتَجَسِّدِ **بِقُوَّةِ الرُّوحِ القُدُسِ** وَاتَّخَذَ جَوْهَرًا مادِيًّا **فِي أَحْشَاءِ والِدَةِ الإِلَهِ**، فَإِنَّ حَبَلَ القِدِّيسَةِ حَنَّةَ يُعْتَبَرُ بَدْءَ الإِعْدادِ لِهٰذا التَّدْبِيرِ الإِلٰهِيِّ العَظِيمِ.

كَانَ يُواكِيمُ وَحَنَّةُ عاقِرَيْنِ، الأَمْرُ الَّذِي سَبَّبَ لَهُما أَلَمًا وَعارًا، إِذْ كَانَ العُقْمُ فِي نَظَرِ المُجْتَمَعِ آنَذَاكَ أَمْرًا مُخْزِيًا وَمَرْفُوضًا.

غَيْرَ أَنَّ الإِيمَانَ الصَّادِقَ الَّذِي تَحَلَّيا بِهِ **نُجَاهَ اللهِ**، إِلَى جانِبِ صَلاتِهِما الحارَّةِ لَهُ، وَالمَحَبَّةِ غَيْرِ الأَنانِيَّةِ الَّتِي كانَ كُلٌّ مِنهُما يُكِنُّها لِلآخَرِ، كانَتْ هِيَ المَعايِيرَ الجَوْهَرِيَّةَ الَّتِي اسْتَنَدَتْ إِلَيْها العِنايَةُ الإِلٰهِيَّةُ فِي اخْتِيارِهِما والِدَيْنِ **لِأَطْهَرِ وَأَقْدَسِ شَخْصٍ** أَظْهَرَهُ التَّارِيخُ البَشَرِيُّ عَبْرَ الأَجْيالِ: **العَذْراءُ مَرْيَمُ**.

تُصَوِّرُ تَراتِيلُ الكَنِيسَةِ حَدَثَ الحَبَلِ الإِلٰهِيِّ بِأُسْلُوبٍ فَرِيدٍ وَمُتَمَيِّزٍ.

وَالمَحْوَرُ الأَساسِيُّ الَّذِي تَدورُ حَوْلَهُ جَمِيعُ الأَوْصافِ التَّرْتِيلِيَّةِ هُوَ الرَّبْطُ بَيْنَ عِيدِ الحَبَلِ **بِوالِدَةِ الإِلَهِ** وَبَيْنَ عِيدِ **البِشارَةِ وَتَجَسُّدِ كَلِمَةِ اللهِ**.

وَيَتَّضِحُ هٰذَا التَّرابُطُ بِصُورَةٍ خاصَّةٍ فِي الأَبُولِيتِكْيُونِ الخاصِّ بِالعِيدِ، إِذْ يُبْرِزُ المُرَتِّمُ أَمامَ أَنْظارِنا انْجِلالَ قُيُودِ العُقْمِ الَّتِي كانَ يُعانِيها الزَّوْجانِ المُبارَكانِ، مُدْرِجًا الحَدَثَ لَا فِي إِطارِ المَاضِي التَّارِيخِيِّ، بَلْ فِي الحاضِرِ الدَّائِمِ لِلزَّمَنِ الطَّقْسِيِّ، حَيْثُ يَتَّحِدُ المَاضِي وَالحَاضِرُ وَالمُسْتَقْبَلُ فِي وَحْدَةٍ واحِدَةٍ تُفْضِي كُلُّها إِلَى اليَوْمِ الثَّامِنِ، إِلَى حَياةِ الدَّهْرِ الآتِي.

ويُتابِعُ النَّصُّ التَّرْتِيلِيُّ فِي عَرْضِ الأَصْلِ الفائِقِ لِلطَّبِيعَةِ **لِلمَسِيحِ** حَسَبَ إِنْسانِيَّتِهِ، المُنْحَدِرِ مِنْ يُواكِيمَ وَحَنَّةَ، عَبْرَ **والِدَةِ الإِلَهِ**.

ويَرْبِطُ الأَبُولِيتِكْيُونُ هٰذَا العِيدَ مُباشَرَةً بِعِيدِ البِشارَةِ، إِذْ يَخْتِتِمُ بِنِداءِ المَلاكِ لِلْعَذْراءِ: «افْرَحِي أَيَّتُها المُمتَلِئَةُ نِعْمَةً، الرَّبُّ مَعَكِ.»

يَكْتَسِبُ عِيدُ حَبَلِ القِدِّيسَةِ حَنَّةَ **بِوالِدَةِ الإِلَهِ**، مَضْمُونًا خاصًّا فِي «البَيْتِ» (إيكوس) (Οἶκος)، أَيْ فِي الطرُوبارِيَّةِ الَّتِي تَتْبَعُ «القُنْداقَ» الخاصَّ بِالعِيدِ مُباشَرَةً بَعْدَ الأُوْدِيَةِ السَّادِسَةِ مِنْ قانُونِ صَلاةِ السَّحَرِ. وَفِي هٰذِهِ الطُّرُوبارِيَّةِ لَا يَتَكَلَّمُ المُرَتِّمُ بِنَفْسِهِ، بَلْ يُظْهِرُ القِدِّيسَةَ حَنَّةَ وَهِيَ تَرْفَعُ ابْتِهالَها **إِلَى الرَّبِّ**.

تَتَوَجَّهُ القِدِّيسَةُ بِالصَّلاةِ **إِلَى اللهِ**، مُذَكِّرَةً إِيَّاهُ بِحالَتَيِ العُقْمِ المُشابِهَتَيْنِ فِي العَهْدِ القَدِيمِ، حَيْثُ تَدَخَّلَتِ العِنايَةُ الإِلٰهِيَّةُ بِقُوَّةٍ حاسِمَةٍ وَعَجِيبَةٍ، فَأَنْعَمَتْ بِالنَّسْلِ عَلَى مَنْ كانَتْ عاقِرًا.

تُشِيرُ الحادِثَةُ الأُولَى إِلَى سارَةَ زَوْجَةِ الأَبِ إِبْراهِيمَ، الَّتِي رَغْمَ كَوْنِها عاقِرًا، تَمَكَّنَتْ **بِنِعْمَةِ اللهِ** مِنْ أَنْ تَلِدَ إِسْحاقَ فِي شَيْخُوخَتِها.

أَمَّا الحادِثَةُ الثّانِيَةُ فَتَتَعَلَّقُ بِحَنَّةَ أُمِّ النَّبِيِّ صَمُوئِيلَ، الَّتِي تَخَطَّتْ هِيَ أَيْضًا نَواميسَ الطَّبِيعَةِ البَشَرِيَّةِ، فَأَنْجَبَتِ ابْنًا **بِمَعُونَةِ اللهِ**.

وهٰكَذا، بَعْدَ أَنْ **ذَكَّرَتِ الرَّبَّ** بِهٰذَيْنِ الحَدَثَيْنِ، تَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ بِحَرارَةٍ شَدِيدَةٍ كَي يُحَقِّقَ طَلَبَها.

ويُصَوِّرُ المُرَتِّمُ **الرَّبَّ** وَهُوَ يُنْعِمُ عَلَى المَرْأَةِ العَجُوزِ العاقِرِ، فَيُعْطِيها ما تَشْتَهِيهِ، فَيَمْلَأُ قَلْبَها فَرَحًا، لِأَنَّها حَبِلَتْ وَسَتَلِدُ تِلْكَ الَّتِي سَتَحْمِلُ وَتَلِدُ **ابْنَ اللهِ الكَلِمَةَ**، مُتَجاوِزَةً حُدودَ المَنْطِقِ البَشَرِيِّ.

يَدْعُو مُرَتِّمُ خِدْمَةِ هٰذا اليَوْمِ كُلَّ الخَلِيقَةِ العاقِلَةِ، مُنْذُ بَدْءِ التَّكْوِينِ وَإِلَى الآنَ، إِلى أَنْ تُشارِكَ فِي فَرَحِ القِدِّيسَةِ حَنَّةَ، جَدَّةِ **المَسِيحِ**، عِنْدَما بُشِّرَتْ بِأَنَّها سَتَلِدُ طِفْلًا.

وَفِي طُرُوبارِيَّةِ التَّسابِيحِ يَدْعُو المُرَتِّمُ كُلَّ الخَلِيقَةِ إِلى الِابْتِهاجِ وَالتَّهْلِيلِ.

فِي الطرُوبارِيَّةِ الأُولَى، يُعَزِّي آدَمَ وَحَوَّاءَ وَيَدْعُوهُما إِلى نِسْيانِ كُلِّ حُزْنٍ، لِأَنَّ حَنَّةَ سَتَلِدُ أُمَّ الَّذِي سَيُعِيدُ الفَرَحَ إِلى العالَمِ، مُصْلِحًا ما أَفْسَدَتْهُ مُخالَفَةُ الأَبَوَيْنِ الأَوَّلَيْنِ.

وَفِي الطرُوبارِيَّةِ الثّانِيَةِ، يَحُثُّ المُرَتِّمُ إِبْراهِيمَ وَجَمِيعَ آباءِ العَهْدِ القَدِيمِ عَلَى المُشارَكَةِ فِي العِيدِ، **لِأَنَّ والِدَةَ الإِلَهِ** سَتَنْحَدِرُ مِنْ نَسْلِهِم.

وَفِي الطرُوبارِيَّةِ الثّالِثَةِ، يُحَيِّي يُواكِيمَ وَحَنَّةَ اللَّذَيْنِ سَيُقَدِّمانِ لِلْعالَمِ

الْيَنْبُوعَ الَّذِي سَتَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْفَرَحُ وَالْخَلَاصُ، أَيْ **الْمَسِيحَ نَفْسَهُ**.

وَفِي الطرُوبارِيَّةِ الرَّابِعَةِ، يُظْهِرُ وَاضِعُ النَّشِيدِ لِلْأَنْبِيَاءِ أَنَّ كُلَّ نُبُوءَاتِهِمْ سَتَتَحَقَّقُ فِي الثَّمَرَةِ الْخَارِجَةِ مِنْ أَحْشَاءِ حَنَّةَ.

وَفِي الطرُوبارِيَّتَيْنِ الْأَخِيرَتَيْنِ، تَتَحَوَّلُ الْبَهْجَةُ مِنْ شُعُورٍ شَخْصِيٍّ إِلَى إِحْسَاسٍ كَوْنِيٍّ شَامِلٍ، إِذْ تُدْعَى كُلُّ قَبَائِلِ الْأَرْضِ، إِلَى أَقَاصِي الْمَسْكُونَةِ، إِلَى الِابْتِهَاجِ بِهٰذِهِ الْمُنَاسَبَةِ الْمُبَارَكَةِ، لِأَنَّهُ مِنْ رَحِمِ حَنَّةَ لَنْ يُولَدَ طِفْلٌ عَادِيٌّ، بَلْ **أُمُّ الْفَادِي**.

الْفَرَحُ هُوَ الشُّعُورُ الْأَسَاسِيُّ الَّذِي يَفِيضُ فِي كُلِّ تَرَاتِيلِ هٰذَا الْعِيدِ.

إِنَّ فَرَحَ يُوَاكِيمَ وَحَنَّةَ يَأْتِي كَثَمَرَةٍ صَادِقَةٍ لِتَحْقِيقِ طَلِبَتِهِمَا، الَّتِي تَوَصَّلَا إِلَيْهَا بَعْدَ جُهْدٍ عَظِيمٍ، وَلٰكِنْ **بِإِيمَانٍ حَقِيقِيٍّ بِاللهِ**، وَبِنِعْمَتِهِ الْإِلٰهِيَّةِ الَّتِي تَمَّتْ فِيهَا.

غَيْرَ أَنَّ حَبَلَ وَالِدَةِ الْإِلٰهِ فِي أَحْشَاءِ حَنَّةَ لَيْسَ مُجَرَّدَ حَدَثٍ «فَرَحٍ عَائِلِيٍّ»، بَلْ هُوَ مَصْدَرُ تَعْزِيَةٍ لِلْبَشَرِيَّةِ جَمْعَاءَ، إِذْ يُجَدِّدُ الْآمَالَ الَّتِي أَظْلَمَهَا السُّقُوطُ مَعَ **صُورَةِ اللهِ** فِي الْإِنْسَانِ، وَيَفْتَحُ مِنْ جَدِيدٍ مَسِيرَةَ التَّقَدُّمِ نَحْوَ الْمُشَابَهَةِ **لِلهِ**، بِحَبَلِ الْقِدِّيسَةِ حَنَّةَ **بِوَالِدَةِ الْإِلٰهِ**، الَّتِي سَيُشْرِقُ عَلَى الْبَشَرِيَّةِ بِهَا **شَمْسُ الْبِرِّ**، أَيْ **الْمَسِيحُ**.

«إِنَّ الإِيمَانَ يُعَدُّ أَعْظَمَ خَيْرٍ فِي الحَيَاةِ الأَرْضِيَّةِ؛ فَهُوَ الَّذِي يُوَحِّدُ الإِنسَانَ **بِاللهِ** وَيُقَوِّيهِ، وَيَجْعَلُهُ لَا يُقْهَرُ فِي الجِهَادِ الرُّوحِيِّ...».

وَعِنْدَمَا تُعَبِّرُ عَنْ طَلِبَتِكَ **إِلَى اللهِ**، تَذَكَّرْ أَنَّهُ يَنْتَظِرُ جَوَابًا إِيجَابِيًّا مُبَاشِرًا عَنِ السُّؤَالِ الدَّاخِلِيِّ الَّذِي هُوَ نَفْسُهُ يَطْرَحُهُ فِيكَ: «أَتُؤْمِنُ أَنِّي أَسْتَطِيعُ أَنْ أُتِمَّ هٰذَا الطَّلَبَ؟».

أَجِبْ إِذًا فِي عُمقِ قَلبِكَ بِالإِيجَابِ؛ فَبِحَسَبِ إِيمَانِكَ يَكُونُ لَكَ.

وَإِذَا صَلَّيتَ، فَاجْهَدْ أَنْ تَمُرَّ الصَّلَاةُ بِقَلبِكَ لِيَشعُرَ قَلبُكَ حَتْمًا وَيَشْتَهِيَ مَا تَطلُبُهُ فِي صَلَاتِكَ.

رَاقِبْ: هَلْ يُوَافِقُ القَلْبُ مَا يَنطِقُ بِهِ اللِّسَانُ؟ فَمَن يُصَلِّي عَجَلَةً دُونَ مُشَارَكَةٍ قَلبِيَّةٍ، وَيُغلَبُ بِالكَسَلِ أَو خُمُولِ الجَسَدِ النَّعْسَانِ، فَإِنَّهُ يُخدِمُ الجَسَدَ لَا **اللهَ**... وَمَا مِن كَلِمَةٍ فِي الصَّلَاةِ تَذْهَبُ هَدَرًا إِنْ قُدِّمَتْ بِكُلِّ القَلْبِ... فَقَد تُتلَى صَلَاةٌ طَوِيلَةٌ لَا يَكُونُ فِيهَا إِلَّا جُزْءٌ صَغِيرٌ مَقْبُولٌ حَقًّا **عِندَ اللهِ**. وَهٰذَا الجُزْءُ وَحدَهُ هُوَ الصَّلَاةُ الحَقِيقِيَّةُ **وَعِبَادَةُ اللهِ**.

وَالأَسَاسُ فِي الصَّلَاةِ اقْتِرَابُ القَلْبِ **مِنَ اللهِ**، وَهٰذَا يَظْهَرُ مِن عُذُوبَةِ الحُضُورِ الإِلٰهِيِّ فِي النَّفْسِ.

آهِ، مَا أَسْهَلَ وَأَسْرَعَ أَنْ **يُخَلِّصَنَا اللهُ**! ... كَثِيرًا مَا كُنْتُ فِي النَّهَارِ خَاطِئًا عَظِيمًا، وَفِي المَسَاءِ أُنْهِيتُ صَلَاةَ التَّوبَةِ مُبَرَّرًا، أَبْيَضَ كَالثَّلْجِ **بِنِعْمَةِ الرُّوحِ القُدُسِ**، حَامِلًا السَّلَامَ وَالفَرَحَ فِي قَلْبِي.

الإِيمَانُ الَّذِي يُنَقِّي القَلْبَ بِنِعْمَةِ الرُّوحِ القُدُسِ

يُبَيِّنُ **القِدِّيسُ يُوحَنَّا كْرُونِشْتَادْت** فِي خُلَاصَةِ تَعْلِيمِهِ أَنَّ الإِيمَانَ لَا يَقْتَصِرُ عَلَى إِنَارَةِ العَقْلِ، بَلْ يَنْفُذُ إِلَى أَعْمَاقِ القَلْبِ، فَيُطَهِّرُهُ بِالتَّوبَةِ وَيُعِيدُ إِلَيْهِ السَّلَامَ. فَالصَّلَاةُ الصَّادِقَةُ، النَّابِعَةُ مِنَ التَّوَاضُعِ، تُغْدِي مَوْضِعًا **لِحُلُولِ نِعْمَةِ الرُّوحِ القُدُسِ**، فَتُبَدِّلُ النَّفْسَ وَتُلْبِسُهَا بَيَاضَ الثَّلْجِ.

وَهٰكَذَا لَا يَبْقَى الإِيمَانُ فِكْرَةً مُجَرَّدَةً أَوْ صِيغَةً إِيمَانِيَّةً، بَلْ حَيَاةً مُتَجَدِّدَةً **فِي اللهِ**، حَيْثُ يَلْتَقِي القَلْبُ **بِالْمَسِيحِ** وَيَذُوقُ فَرَحَ الغُفْرَانِ.

لِذٰلِكَ كَانَتِ التَّوبَةُ اليَوْمِيَّةُ وَالنِّعْمَةُ المُنَقِّيَةُ الطَّرِيقَ الأَكْمَلَ لِحَيَاةِ المُؤْمِنِ، وَحَقِيقَةَ «الإِيمَانِ العَامِلِ بِالمَحَبَّةِ» الَّذِي يَفْتَحُ القَلْبَ عَلَى **نُورِ اللهِ** الحَيِّ.

القدّيس مركوريوس فتى المسيح البطل

القديس مركوريوس يقتل الامبراطور الجاحد يوليانوس

ذخائر القديس المقدسة

القديس مركوريوس يقتل الامبراطور الجاحد يوليانوس

وفجأة، ظهرت لهم والدة الإله في رؤيا سماويّة مهيبة تحيط بها جموع الملائكة، وقالت لهم: «ادعوا مركوريوس المجاهد، ليذهب ويقتل عدوّ المسيح يوليانوس!»

لقد عاش **القدّيس مركوريوس** في القرن الثالث، في زمن **الأباطرة الرومانيّين دقيوس** (٢٤٩–٢٥١) **وغالوس** (٢٥١–٢٥٣) **وفاليريانوس** (٢٥٣–٢٥٩)، الذين عُرِفوا جميعًا بقسوتهم واضطهادهم الشديد للمسيحيّين.

وفي شبابه المبكّر، بعد موت أبيه غورديانوس المفاجئ – الذي كان مسيحيًّا تقيًّا يخفي إيمانه خوفًا من الاضطهاد – انضمّ **مركوريوس** إلى فرقة المقاتلين المشهورة باسم **فرقة المارتيزيان**، وسرعان ما تميّز بين رفاقه بشجاعته الخارقة وبسالته النادرة. وكانت البطولة لديه لا تنبع من الرغبة في المجد الزائل، بل من قلبٍ مستقيمٍ مملوءٍ إيمانًا **بالله**، إذ كان يحمل في نفسه ملامحَ الجنديّ الحقيقيّ في جيش **المسيح**، حتى وإن خدم بعدُ في جيشٍ أرضيّ.

في أحد الأيام أمره **الإمبراطور** أن يقود جيشًا في معركةٍ ضدّ **القبائل البربريّة** التي كانت تهدّد حدود الإمبراطوريّة. ولمّا رأى **مركوريوس** تفوقَ العدوّ العدديّ الكبير، أخذ يتفكّر في ما يجب أن يفعل.

فإذا به يرى **ملاك الرَّبّ** يظهر له بهيئةٍ نورانيّةٍ مهيبة، ناولَه سيفًا لامعًا وقال له: «أنا مرسَلٌ من **الله**، وبمعونته ستنتصر، وستنال المجد، وإنْ بقيتَ ثابتًا في إيمانك، ستُكرَّم بالشهادة من أجل اسمه القدّوس.»؛ حينئذٍ امتلأ قلب **مركوريوس** شجاعةً وثقةً إلهيّةً، فاندفع في المعركة وأحرز نصرًا باهرًا على الأعداء، وعاد مكلَّلًا بالمجد.

ولمّا علم **الإمبراطور** بانتصاره العجيب على الجيوش البربريّة الكثيرة، أكرمه وأعلنه قائدَ الجيوش العامّ، ومنحه هدايا ثمينة ومدحه علنًا أمام الجميع. غير أنّ هذا المجد الدنيويّ جعل **مركوريوس ينسى** إحسان **الله** الذي منحه النصرة، فانحرف قلبه مؤقّتًا نحو **المجد الأرضي**. ولهذا، تراءى له **الملاك** من جديد في رؤيا ليلية، وذكّره بأنّ النصر الذي أُعطي له على البرابرة لم يكن بقوّته الذاتية، بل **بمعونة الرَّبِّ** وقوّته.

ثمّ قال له **الملاك**:«إنْ بقيتَ أمينًا للربّ، فستُكرَّم أيضًا بأن تشهد للمَلِك السماويّ وتُتوَّج بالشهادة من أجله. انهضْ من نوم الإهمال، وازدرِ نِعَم هذا العالم الباطلة، وتعالَ إلى القصور السماويّة!»

استيقظ **مركوريوس** مضطربًا، وكان يستعيد في ذهنه لا كلمات **الملاك** فقط، بل أيضًا وصايا أبيه القديمة عن خلاص النفس والخيرات الأبديّة للفردوس. ومنذ تلك اللحظة، عقد في نفسه عزمًا ثابتًا أن يعترف بإيمانه **بالمسيح** كلّما دُعي إلى ذلك، ولو كلّفه الأمر حياته.

اعتراف القدّيس:

في أحد الأيام أمر **الإمبراطور القدّيسَ مركوريوس** أن يشاركه في **تقديم ذبيحة للإلهة أرطيميس**، كي تكون لهم عونًا في المعارك. لكنّ **مركوريوس** لم يذهب إلى الذبيحة، فدهش **الإمبراطور** من تصرّفه هذا. و حينئذٍ انتهز أحد الضبّاط الحاسدين الفرصة – وكان يطمع في مركز القدّيس – فوشى به إلى الملك قائلًا إنّه مسيحيّ خفيّ. **فاضطرب الإمبراطورُ الوثنيُّ** وطلب أن يُحضَر أمامه ليسمع من فمه بنفسه حقيقة ما نُسِب إليه، إذ لم يكن يخطر بباله أنّ أعظم قوّاده قد أنكر آلهة الدولة واعتنق الإيمان **بالمسيح**.

فاستدعاه وسأله قائلًا:«هل صحيح ما سمعته عنك يا مركوريوس؟»

فلم يتردّد القدّيس لحظةً واحدة، بل أجاب بشجاعة وجرأة روحيّة معترفًا بإيمانه **بالمسيح** قائلًا :«أنا خادمٌ **ليسوع المسيح، الإله الحقّ**، ولا أعبد سوى اسمه القدّوس». ثمّ خلع منطقته العسكرية وأوسمته، وناولهما **للإمبراطور** قائلًا: «عُرْيَانًا خَرَجْتُ مِنْ بَطْنِ أُمِّي، وَعُرْيَانًا أَعُودُ» (أيّوب ١:٢١).

وهكذا جاهر **القدّيس مركوريوس** بإيمانه جهارًا أمام الجميع، غير هيّابٍ من العار ولا من الموت، بل منتصرًا بإيمانه وثباته على **المسيح**.

الإستشهاد:

حاوَلَ **الملكُ الوثنيّ** بشتى أساليب الإغراء والتملّق أن يُقنع **مركوريوس** بأن يتراجع عن إيمانه، ولكن عبثًا! فأمرَ بأن يُعذَّب قائلًا: «**لنرَ إنْ كان إلهُهُ سينقذه الآن!**»؛ فعلّقوه على أربعة أعمدة، وبدأوا يمزّقون لحمه بالسكاكين الحادّة، ويُحرقون جراحه بالمشاعل المشتعلة. وكان الدمُ يتدفّق

من جسده كالسيل الغزير، والآلام لا تُحتمل. أمّا هو فكان يصبر ببطولةٍ تفوق الطبيعة، يُصلّي وسط العذاب، مستمدًّا القوّة من الله. وبعد ثلاث ساعات من العذاب طرحوه مخضّبًا بدمه في السجن، حيث تراءى له **ملاك الرَّبّ** مرّة أخرى، فشفاه من جراحه وباركه على بطولته وثباته.

لكنّ **الملك**، إذ علم بالمعجزة، ازداد غضبًا وجنونًا، فأمر بأن يُعذَّب من جديد بأن يُغرز جسده بأسياخٍ محمّاةٍ بالنار، وهم يصيحون به: «اسجد لآلهتنا أيها الوقح!»؛ غير أنّ **القدّيس** بقي ثابتًا لا يتزعزع في إيمانه.

ثمّ عذّبوه بأقسى مما قبل، إذ علّقوه مقلوبًا وربطوا حول عنقه صخرة ضخمة، وضربوه بسياطٍ ذات أربعة أطرافٍ من الحديد حتى أغمي عليه من شدّة الألم.

وفي النهاية، حين رأى **الملك** أنّه لا يلين في إيمانه، أمر بنقله إلى **مدينة قيصريّة كبّادوكيا**، وهناك قُطع رأسه، فنال إكليل الشهادة المجيد.

فركع **القدّيس**، صلّى وغفر لجلّاديه، ثمّ أسلم رأسه لمحبّ البشر **المسيح**، وكان في الخامسة والعشرين من عمره.

القدّيس مركوريوس يُميت الإمبراطور الجاحد يوليانوس:

بحسب تقليدٍ قويّ ومُوثوق، مستندٍ إلى رؤيا **القدّيس باسيليوس الكبير** أسقف قيصريّة كبّادوكيا، كان **القدّيس مركوريوس** هو الذي أنهى حياة **الإمبراطور يوليانوس الجاحد** – ذاك الذي ارتدّ عن **المسيح** بعد أن كان نال المعموديّة، وقد أشار إلى هذا الحدث أيضًا البيتين الشعريّين الواردين في المخطوطات القديمة: «حتى بعد موتك، يا مركوريوس، إنْ كنت تضرب بالسيف، فأنت ما زلت تقتل أعداء الربّ!»

كان هذا **الإمبراطور كافرًا ومتكبّرًا**، فاغتاظ حين قدّم له زميله في الدراسة **القدّيس باسيليوس** أثناء زيارته إلى قيصريّة ثلاث خبزاتٍ من الشعير – وهي من نوع الخبز الذي كان يأكله بنفسه تواضعًا.

فشعر **يوليانوس بالإهانة**، وأرسل إليه غاضبًا حزمة من العشب قائلًا بسخرية: «هذا طعامك المناسب أيها الراهب الحقير!»

ثمّ هدّده قائلاً:«حين أعود منتصرًا من بلاد فارس، سأُحرق مدينتك قيصريّة، وأستعبد شعبها، وأعاقبك أنت أيها الأسقف، لأنكم تهينون آلهة آبائنا وتحتقرون تقاليدهم!»

هكذا تكشّف حقده وعداوته للإيمان، ولكنّ الله كان قد أعدّ وسيلته لإهلاكه بواسطة **القدّيس مركوريوس** الذي ظهر لاحقًا في الرؤيا وأتمّ الدينونة الإلهيَّة على هذا الجاحد.

حينئذٍ اقترح **القدّيس باسيليوس الكبير** على الشعب أن يجمعوا المال والحليّ والأحجار الكريمة، وأن يذرّوها على الطريق الذي سيمرّ فيه الإمبراطور الطامع في المال، لعلّه بذلك يهدأ غضبه وتخمد نيران ثورته المدمّرة.

ولمّا سمع **القدّيس باسيليوس** أنّ **يوليانوس** يقترب من قيصريّة، جمع المؤمنين على جبلٍ يُدعى «ديديمو» خارج المدينة، وكان هناك هيكل مكرّس **لوالدة الإله الكليّة القداسة**. فصلّوا بحرارةٍ وابتهال إلى **العذراء الفائقة الطهارة** أن تخلّص المدينة من **يد الجاحد**.

وفجأة، ظهرت لهم **والدة الإله** في رؤيا سماويّة مهيبة تحيط بها جموع الملائكة، وقالت لهم: «**ادعوا مركوريوس المجاهد، ليذهب ويقتل عدوّ المسيح يوليانوس!**» وفي تلك اللحظة رأى **القدّيس باسيليوس** أنّ **القدّيس مركوريوس** المجيد قد ظهر بالفعل مُتسلّحًا بسيفه ودرعه، فنال الأمر من **والدة الإله**، ثمّ انطلق فورًا لتنفيذ مشيئة الله.

المعجزة:

وما إن نزل القدّيس باسيليوس الكبير مع المؤمنين من الجبل إلى المدينة، حتى توجّه إلى هيكل القدّيس مركوريوس الشهيد العظيم في **المسيح**، حيث كانت تُحفَظ رفاته المقدّسة وأسلحته.

ولمّا دخل الهيكل، تفاجأ الأسقف باسيليوس بأنّ الرفات والأسلحة قد اختفيا تمامًا! فأدرك في الحال أنّ الرؤيا التي رآها كانت حقيقيَّة، إذ لم يمضِ وقتٌ طويل حتى وصل الخبر بأنّ **الإمبراطور يوليانوس** قد قُتِل في الحرب.

وهكذا، بنعمة الله القادر على كل شيء، أتمَّ **القدّيس مركوريوس** القصاص الإلهي، فقد قتل حتى بعد رقاده ذلك **الإمبراطور الكافر الجاحد، يوليانوس المرتدّ**، ليُعلِن أنّ قديسي الله أحياء فيه، يعملون بقوّته حتى بعد موتهم.

ذخائر القدّيس:

تُحفَظ **الجمجمة الكريمة للقدّيس الشهيد العظيم في المسيح مركوريوس** في الدير المقدّس فاتوبيدي في جبل آثوس، بينما تُحفَظ ذخائر مقدّسة أخرى له أيضًا في الدير المقدّس ديونيسيو في جبل آثوس، وفي دير والدة الإله فروندياني *(Παναγία Βρυοντιανή)* في جزيرة ساموس. وهكذا، تبقى ذخائر القدّيس مركوريوس ينبوع نعمة وعجائب في مواضع متفرّقة من العالم الأرثوذكسي، شاهدةً على قوّة الله العاملة في قدّيسيه.

في فِنَاءِ دارِ الأُسقُفيَّةِ التابعةِ لِمَطرانيَّةِ آرتا، بُنِيَتْ في عامِ ١٨٠٠ الكاتدرائيَّةُ الكُبْرى للمدينةِ، المكرَّسَةُ على اسم **القدّيس مركوريوس**.

وكان السبب الرئيسيّ في إهداء الكنيسة للقدّيس هو وجود ذخيرة مقدّسة من قدمه المباركة (بيلما باليونانية) ***(Πέλμα)***، التي وصلت إلى آرتا بعد سقوط القسطنطينيّة، على يد كاهنٍ تقيّ نقلها من الشرق للحفاظ عليها.

شُيِّدت الكنيسة والأسقفيّة فوق أنقاض ديرٍ بيزنطيّ قديم مكرّس **لوالدة الإله**، يُعرف باسم دير العذراء بريفليبتوس ***(Περιβλέπτου)***.

وتُعتبر أيقونة **القدّيس المركوريّ** العجائبيّة، التي كانت تزيّن الكاتدرائيّة القديمة، من روائع الفنّ الكنسيّ، وهي محفوظة اليوم في **كنيسة القدّيس نيقولاوس** في آرتا، شاهدةً على إكرام هذا الشهيد العظيم في المنطقة وعلى استمرار بركته بين المؤمنين.كان **القدّيس مركوريوس** في الخامسة والعشرين من عمره عند استشهاده، تُعيِّد له الكنيسةُ المقدَّسةُ في الخامسِ والعشرينَ من شهرِ تشرينَ الثانيّ الشرقيّ، الموافقِ للثامنِ من كانونَ الأوّلِ الغربيّ، من كلِّ عامٍ. وهو في الوقتِ نفسِه **عيدُ القدّيسةِ كاترينا العظيمةِ في شهيداتِ المسيح**.

مقدمة: فِي سِفْرِ التَّكْوِينِ (الإِصْحَاحِ ٤٩)، يَتَنَبَّأُ **أَبُو الآبَاءِ يَعْقُوبُ** عَنْ **يَهُوذَا** فَيَقُولُ: «يَهُوذَا، إِيَّاكَ يَحْمَدُ إِخْوَتُكَ... جَثَا وَرَبَضَ كَأَسَدٍ، وَكَلَبْوَةٍ، مَنْ يُنْهِضُهُ؟ لاَ يَزُولُ قَضِيبٌ مِنْ يَهُوذَا، وَمُشْتَرِعٌ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ، حَتَّى يَأْتِيَ شِيلُوهُ، وَلَهُ يَكُونُ خُضُوعُ شُعُوبٍ» (تكوين ٤٩ : ٨—١٠).

«الأَسَدُ» فِي هَذِهِ النُّبُوءَةِ هُوَ **المَسِيحُ** نَفْسُهُ، الَّذِي خَرَجَ مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا بِحَسَبِ الجَسَدِ. وَلِهَذَا يُدْعَى فِي سِفْرِ الرُّؤْيَا: «هُوَذَا قَدْ غَلَبَ أَسَدُ سِبْطِ يَهُوذَا، أَصْلُ دَاوُدَ، لِيَفْتَحَ السِّفْرَ وَيَفُكَّ خُتُومَهُ السَّبْعَةَ» (رؤ ٥ : ٥).

الأَسَدُ هُوَ رَمْزُ **المَسِيحِ** المُنْتَصِرِ، الخَارِجِ مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا، الَّذِي جَاءَ بِالجَسَدِ مِنْ نَسْلِ دَاوُدَ بِحَسَبِ النُّبُوءَةِ القَدِيمَةِ، وَغَلَبَ الشَّيْطَانَ وَالمَوْتَ بِالصَّلِيبِ وَالقِيَامَةِ.

تُحَذِّرُنَا الأَسْفَارُ المُقَدَّسَةُ مِنَ الحَرْبِ غَيْرِ المَنْظُورَةِ، وَتَدْعُو المُؤْمِنَ أَنْ يَسْهَرَ بِرُوحِ الأَسَدِ الحَقِيقِيِّ. أَمَّا المَسِيحِيُّ، فَعِنْدَمَا يَسْكُنُ فِي دَاخِلِهِ الأَسَدُ الحَقِيقِيّ، **أَيْ المَسِيحُ**، يَصِيرُ هُوَ نَفْسُهُ أَسَدًا فِي **وَجْهِ الضِّبَاعِ الَّتِي تُمَثِّلُ الأَهْوَاءَ وَالشَّيَاطِينَ** المُحِيطَةَ بِهِ.

عَنْ بَدَايَةِ التَّوْبَةِ

شَذَرَاتٌ آثُوسِيَّةٌ ؛ حَيْثُ تُشَبَّهُ النَّفْسُ بِالأَسَدِ الَّذِي يَقِفُ بِثَبَاتٍ أَمَامَ ضِبَاعِ الأَهْوَاءِ.

التَّوْبَةُ هِيَ بَدْءُ الانْتِصَارِ، وَهِيَ الْتِفَاتُ النَّفْسِ نَحْوَ **اللهِ الآبِ**، وَاتِّخَاذُ القَرَارِ بِأَنْ تَبْقَى رَاسِخَةً بِثَبَاتٍ، حَتَّى لَوْ حَاصَرَتْهَا الجُيُوشُ الرُّوحِيَّةُ. قَدْ تَكُونُ تِلْكَ الضِّبَاعُ هِيَ الأَفْكَارُ، أَوِ الشَّهَوَاتُ، أَوِ النَّاسُ الَّذِينَ يَزْرَعُونَ الفِتْنَةَ وَالبَغْضَاءَ. لَكِنَّ الأَسَدَ لاَ يَضْعُفُ، بَلْ يَمْضِي بِثَبَاتٍ، شَاخِصًا إِلَى الأَمَامِ بِعَيْنَيِ الإِيمَانِ، عَالِمًا أَنَّ قُوَّتَهُ لَيْسَتْ مِنْ ذَاتِهِ، بَلْ مِنْ ذَاكَ الَّذِي قَالَ: «ثِقُوا: أَنَا قَدْ غَلَبْتُ العَالَمَ» (يُوحَنَّا ١٦ : ٣٣).

النَّفْسُ الَّتِي تَبْدَأُ مَسِيرَتَهَا فِي طَرِيقِ التَّوْبَةِ تُشْبِهُ الأَسَدَ العَائِدَ إِلَى النُّورِ، لاَ تَخَافُ مِنَ الجُمُوعِ الَّتِي تُحِيطُ بِهَا. وَمَهْمَا عَلَا صُرَاخُ الشَّيَاطِينِ حَوْلَهَا، فَهِيَ تَعْلَمُ أَنَّ الثَّبَاتَ وَالتَّوَاضُعَ وَالصَّلاَةَ هِيَ أَسْلِحَتُهَا. عِنْدَئِذٍ تَفْقِدُ الضِّبَاعُ قُوَّتَهَا، لأَنَّهَا لاَ تُوَاجِهُ إِنْسَانًا وَحِيدًا، بَلْ **نِعْمَةَ اللهِ** نَفْسَهَا.

فَلْنَبْدَأِ اليَوْمَ بَدَايَةَ التَّوْبَةِ. لِنَصِرْ **أُسُودًا بِالمَسِيحِ**، سَائِرِينَ فِي دَرْبِ الإِيمَانِ بِلاَ خَوْفٍ، عَارِفِينَ أَنَّ التَّجَارِبَ قَدْ تُحَاصِرُنَا، لَكِنَّ الغَلَبَةَ هِيَ **لِلمَسِيحِ** وَلِمَنْ يَبْقَوْنَ مُتَّحِدِينَ بِهِ.

وَعِنْدَمَا تَعُودُ النَّفْسُ إِلَى **نَبْعِ الحَيَاةِ**، تَجِدُ مَمْلَكَتَهَا الحَقِيقِيَّةَ، فَلاَ تَسْتَطِيعُ أَيُّ ضَبُعَةٍ أَنْ تُمَزِّقَهَا بَعْدُ. إِنَّ **الصُّورَةَ أَعْلاَهُ** تُخَاطِبُنَا جَمِيعًا: الأَسَدُ هُوَ نُفُوسُنَا المَدْعُوَّةُ إِلَى السَّيْرِ بِشَجَاعَةٍ، وَالضِّبَاعُ هِيَ أَعْدَاءُ خَلاَصِنَا. فَلْنَقُمْ وَلْنَبْدَأِ المَسِيرَةَ.

إِلَى الإِخْوَةِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ، أَتَمَنَّى أَنْ **يَمْنَحَهُمُ الرَّبُّ** القُوَّةَ وَالبَأْسَ وَالاسْتِنَارَةَ، لِكَيْ يَقِفَ كُلُّ وَاحِدٍ وَوَاحِدَةٍ كَأَسَدٍ فِي وَجْهِ أَعْدَاءِ النَّفْسِ، وَيَنْتَصِرَ **بِنِعْمَةِ اللهِ**. الرُّجُوعُ يَبْدَأُ بِالتَّوْبَةِ، وَالتَّوْبَةُ تَجْلِبُ **النَّصْرَ الأَبَدِيَّ**.

وَفِيمَا تَنْظُرُ إِلَى الصُّورَةِ، تَأَمَّلْ: أَيُّ ضَبُعَةٍ فِي حَيَاتِكَ تُحَاوِلُ أَنْ تُخِيفَكَ؟ وَكَيْفَ سَتَقِفُ كَأَسَدٍ **فِي المَسِيحِ**؟

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

الفصل السابع

«لأَنَّهُمْ لَمَّا عَرَفُوا اللهَ لَمْ يُمَجِّدُوهُ أَوْ يَشْكُرُوهُ كَإِلهٍ، بَلْ حَمِقُوا فِي أَفْكَارِهِمْ، وَأَظْلَمَ قَلْبُهُمُ الْغَبِيُّ.» (رومية ١:٢١).

« «يَا أُورُشَلِيمُ، يَا أُورُشَلِيمُ! يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا، كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا، وَلَمْ تُرِيدُوا!» (مت ٢٣:٣٧).

وتواصلت الشائعات عن إلغاء الدير.

حلّ الصيف، ولم يكن **نكتاريوس** قد استلَم كلمة شكرٍ من **ثيوكليطس** لإهدائه الكتاب إليه. عند ذلك كتب **نكتاريوس** الالتماس التالي:

«التماس من نكتاريوس كيفالاس، متروبوليت المدن الخمس، بخصوص قيام ديرٍ في إيچينا على اسم الثالوث القدوس، والاعتراف الرسميّ به.»

إيچينا في ٢٠ حزيران ١٩١٤.

موجّه إلى قداسته متروبوليت أثينا، رئيس المجمع المقدّس، ثيوكليطس الجليل الاحترام:

«قد رغبتُ، يا صاحب السيادة، ببناء مذبحٍ إلهيّ لعبادة الإله الواحد الثالوث، فشيّدتُ كنيسةً في جزيرة إيچينا على أساساتٍ قديمة. وتقع هذه الأساسات في وسط انقاض يُقال إنّها كانت في الماضي لديرٍ نسائيّ. وقد كرّستُ هذه الكنيسةَ إلى الإله الواحد الثالوث الذي نعبده بالعقل والروح. وبرغبةٍ بمتابعة هذه المؤسّسة المقدّسة وإعادة تشييد ديرٍ مقدّسٍ للعذارى في هذا المكان، كما كان في الماضي.»

«وقد أردتُ من ناحيةٍ أخرى أن أُحسن إلى بعض العذارى اللواتي نذرن أنفسهنّ للربّ، فكرّستُهنّ للخدمة الإلهيّة. وهكذا تحوّلتْ هذه الأنقاض إلى ديرٍ إلهيٍّ للعذارى، وهو برأيي يجمّل هذه الجزيرة الواقعة ضمن أبرشيّتكم.»

« ولم يكن هذا الأمر في البداية سوى محاولة. أمّا الآن فإننا نتقدم بمعونة الرَّبِّ، ولذلك أجرؤ على إبلاغكم بالموضوع رسميًا وبكل احترام لأنكم تمثلون السلطة الإكليريكيّة التي نتبعها. لذا جئت أطلب إليكم أن تدعموا بناء هذا الدير وأنْ تعترفوا به على انه دير نسائي واقع تحت الحماية المعنويَّة لإبرشية أثينا المقدسة.

وأرغب يا صاحب السيادة في أن يصبح هذا الدير مثالًا لبقية الأديار، وفخرًا لأبرشيتكم، ونموذجًا لجميع أديار هذه البلاد، وأن يكون مفيدًا لجميع اللواتي يقصدنه. وثقتي كاملة بأنَّ قداستكم سوف تعالجون هذه القضية وتضعون قانونًا للراهبات حتى يصبحن نماذج للفضيلة والكمال.

لقد اهتممنا بأمر معيشة الراهبات، ووفّرنا لهن مَلَكيّة صغيرة يمكن أن تتوسع كثيرًا في المستقبل، بعد الموافقة والاعتراف الرسمي بالدير.

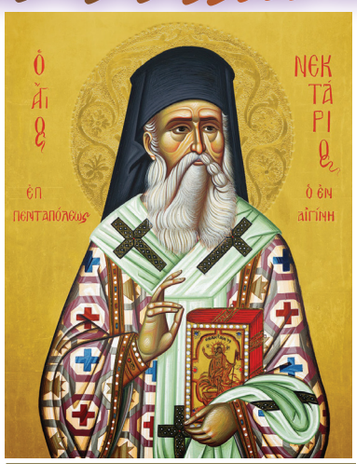

القديس نكتاريوس العجائبي

واقتناعًا مني بمحبتكم الكاملة في الرَّبّ وتقواكم، فإني أنتظر واثقًا بموافقتكم واعترافكم بديرنا المكرّس إلى الثالوث القدوس.

وتقبلوا فائق الاحترام والطاعة.»

وبعد ثلاثة أشهر نزل **غضب ثيوكليطس** كالصاعقة في رسالة رسميَّة وصارمة، مشفوعة بالإسنادات إلى القانون الكنسي، **وببغضٍ شرس** للرهبانيَّة. وكان أهم ما تحتويه هذه الرسالة زعم **ثيوكليطس** أنه يجهل كل شيء عن حياة الدير، في إيچينا ووجوده... ولم يكن من العسير القراءة بين السطور، لاستشفاف بعض **الغيرة والحسد** من المواهب الروحيَّة الكثيرة، ومن أهمية هذه الشخصيَّة التي اعتزلت العالم لكي تؤسس الدير. إنّ ساعي البريد هو الذي أحضر هذه الصاعقة بشكل رسالة مضمونة مع إشعار بالوصول، تحمل التاريخ (الرقم) ١٣٦٣، وقد جاء فيها:

« إن روحنا تتعذَّب يا صاحب السيادة، لعلمنا بأنَّ قداستكم قد أسَّست في إيچينا شركة رهبانيَّة نسائية يزداد عددها كل يوم، دون موافقتنا ودون أخذ رأينا، وعلى مسؤوليتك الرعويَّة الخاصة. وإنك قد بنيت قلالٍ معظمها من نفقة هذه النسوة، وشيدت كنيسة، وإنك تدير كل ذلك وكأنك رئيس الدير بصورة رسميَّة.

أنت لا تُلبس الفتيات ثوب الرهبنة فحسب، بل إنك تجعلهن يقدمن النذور أيضًا... أنت تتصرف وكأنك كاهن في الشركة الجديدة، وتقوم بالخدم الليتورجيَّة بمساعدة نساء، البستهن الثوب الكهنوتي مع الأكمام والبطرشيل.»

« إنَّ روحَنا تتعذَّب. إنَّك تعرفُ جيدًا قوانينَ كنيستِنا المقدَّسة، وبالأخصِّ القانون الرابع من المجمع المسكوني الرابع، الذي ينصّ على أن «لا يَخطُرَنَّ في بال أحدٍ تشييدُ ديرٍ أو كنيسةٍ من دون علم أسقفِ المنطقة. وَيَشْتَرِطُ أَيْضًا أَلَّا يُقْبَلَ أحدٍ في الحياةِ الرهبانية من دون موافقةِ هذا الأسقفِ نفسه». وأنت تعرفُ أيضًا المقطع الأول من القرار الثاني عشر: «... يجب ألّا يُبنى أحدٌ ديرًا من دون علم الأسقفِ وموافقته، ودون إخضاعه للسلطاتِ الأسقفيَّة.»

«ولم تعمل قداستُكم للحِكمةِ المبيَّنة أعلاه، بل ضربتُم صفحًا عن كلِّ ما جاءَ فيها. لقد قمتم إذن بهذه الأعمال بمبادرتِكم الشخصيَّة، ولهلاكك.»

«أجل، إنَّ روحَنا تتعذَّب يا صاحبَ السيادة، ليس لِمَا تجرّأت قداستُكم وقامت به فحسب، بل لأنّك بحسب هذا القانون الرابع نفسه الصادر عن المجمع المسكوني الرابع – الذي يوجب علينا أن نكونَ حريصين فيما يختصّ بالأديار – تُلزِمُنا الطلب إليك، نحن

أسقُفَكم الشرعيّ، بأن تكتبَ لنا تقريرًا حول هذه الأمور:

١– لماذا وبأيّ هدفٍ أَسَّستَ هذه الشركة دون علمِنا ولا موافقتِنا؟

٢– ما هو بالضبط عدد النساء اللواتي يُؤلّفن هذه الشركة؟ ولِمزيد من المعلومات نرجو أن تتكرم بإرسال لائحةٍ متسلسلةٍ تفيدنا باسمَ كل فتاةٍ وعائلتها وعمرَها ومكان ولادتها، وتاريخ انضمامِها إلى الشركة، وتاريخ ارتدائها الثوبَ الرهباني، والشخص الذي سامها راهبة، وإن كانت مكرَّسة.

٣– ما هو عدد القلالي المشيَّدة لسكنى هذه النساء؟ وما هو مبلغ المال المصروف؟ وما هو مصدر هذا المال؟ (اسم كل متبرّع مع المبلغ الذي تبرّع به بشكل دقيق).

٤– من هو القديس الذي بُنيت الكنيسة على اسمه؟ وكم بلغت كلفة البناء؟ ومن تبرّع بالمال؟ ومن هو الأسقف الذي كرَّسها؟ وهل نُفِّذت مراسم التكريس بحسب طقوس كنيستِنا المقدَّسة؟ في أيّ تاريخ؟ وفي التأسيس والتكريس، هل تمّت مراعاة جميع الإجراءات الإعدادية؟

٥– هل صحيحٌ أنَّ هذه النسوة يقُمنَ بالخدمة خلال القداس الإلهي وبقيّة الخدم الليتورجيَّة، ومن هنّ مرتديات الثياب الكهنوتية المذكورة أعلاه؟ وما هي وظيفة كلٍّ واحدةٍ منهنّ؟»

٦– علامَ تقومُ الحياةُ اليوميَّةُ للشركة؟ من وجهةِ قواعدِ الصحَّةِ، أي الطَّعامِ والسَّكنِ واللِّباسِ؟ ومَن هو المكلَّفُ بالتَّموينِ؟ ومَن هم الخَدَمُ؟ وكيف يتمُّ تنظيمُ المشترياتِ الضَّروريَّة؟

٧– كيف تُديرُ قداستُكم حياةَ الجماعةِ بشكلٍ عامّ؟

٨– ما هو نظامُ الحياةِ الرُّوحيَّةِ والجسديَّةِ بشكلٍ عامٍّ وبالتَّفصيل؟

« وكلُّنا أملٌ بتلقّي رسالةٍ سريعةٍ بقلمِ قداستِكم للإجابةِ على جميعِ النِّقاط المذكورةِ أعلاه.»

ودمتم،أخوكم المخلِّصُ في المسيح،
ثيوكليطوس، متروبوليت أثينا.

وقد قرأ نكتاريوس هذه الرسالةَ وأعاد قراءتَها؛ لقد قرأها سبعَ مرّاتٍ على الأقلّ.

يتبع في العدد القادم

نَصْرُ النَّفْسِ

«**أَغْلِبْ نَفْسَكَ**» – هٰذِهِ هِيَ ٱلْوَصِيَّةُ ٱلْأُولَى لِكُلِّ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَقْتَرِبَ مِنَ اللهِ. فَلَيْسَ ٱلِٱنْتِصَارُ عَلَى ٱلنَّاسِ هُوَ ٱلَّذِي يُحْسَبُ، بَلْ هَزِيمَةُ ٱلْإِنْسَانِ لِذَاتِهِ ٱلْقَدِيمَةِ، وَلِأَهْوَائِهِ وَأَفْكَارِهِ ٱلَّتِي تُظْلِمُ ٱلْقَلْبَ.

ٱلْإِنْسَانُ ٱلَّذِي يُخْضِعُ أَنَانِيَّتَهُ، وَحُبَّهُ لِذَاتِهِ، وَغُرُورَهُ ٱلْبَاطِلَ، يُشْبِهُ ذَاكَ ٱلَّذِي يَهْزِمُ جُيُوشًا بِأَكْمَلِهَا، لِأَنَّهُ يَغْلِبُ أَدْهَى ٱلْأَعْدَاءِ جَمِيعًا: **ذَاتَهُ**.

ٱلْآبَاءُ ٱلْقِدِّيسُونَ يُعَلِّمُونَ أَنَّ أَعْظَمَ مَعْرَكَةٍ هِيَ تِلْكَ غَيْرُ ٱلْمَنْظُورَةِ، ٱلَّتِي تُخَاضُ فِي دَاخِلِنَا، فِي صَمْتِ ٱلصَّلَاةِ وَٱتِّضَاعِ ٱلْقَلْبِ.

فَٱلْمُنْتَصِرُ لَيْسَ مَنْ يَتَفَوَّقُ عَلَى غَيْرِهِ، بَلْ مَنْ يَغْفِرُ. وَلَيْسَ مَنْ يَبْدُو قَوِيًّا، بَلْ مَنْ لَا يُقَابِلُ ٱلشَّرَّ بِٱلشَّرِّ. لِأَنَّ **ٱلْمَسِيحَ** حِينَئِذٍ يَسْكُنُ فِي دَاخِلِهِ، وَتُصْبِحُ نَفْسُهُ مِيدَانَ سَلَامٍ إِلٰهِيٍّ. ٱلْعَقْلُ ٱلْفَلْسَفِيُّ يَرَى ٱلنَّصْرَ ضَبْطًا لِلنَّفْسِ، أَمَّا ٱلرُّوحِيُّ فَيَرَاهُ خَلَاصًا.

قَالَ **سُقْرَاطُ**: إِنَّ ٱلشَّجَاعَةَ ٱلْحَقِيقِيَّةَ هِيَ أَنْ تُبْقِيَ ٱلنَّفْسَ ثَابِتَةً وَسْطَ ٱلْعَوَاصِفِ.

أَمَّا ٱلْمَسِيحُ فَقَدْ أَرَانَا أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لَا تَكْمُنُ فِي ٱلْمُقَاوَمَةِ، بَلْ فِي **ٱلْمَحَبَّةِ** ٱلَّتِي تَغْلِبُ **ٱلْبُغْضَ**.

وَحِينَ يَنْجَحُ ٱلْإِنْسَانُ فِي تَرْوِيضِ أَهْوَائِهِ، وَفِي إِنَارَةِ ذِهْنِهِ، وَفِي تَهْدِئَةِ قَلْبِهِ، حِينَئِذٍ **يَمْنَحُهُ اللهُ** ٱلنَّصْرَ ٱلْوَحِيدَ ٱلَّذِي لَا يُفْقَدُ: نَصْرَ ٱلنَّفْسِ.

ٱلنَّصْرُ ٱلْحَقِيقِيُّ هُوَ **هَزِيمَةُ ٱلْأَنَا** فِي نُورِ ٱلنِّعْمَةِ.

وَنَصْرُ ٱلنَّفْسِ لَا يُرَى فِي عُيُونِ ٱلنَّاسِ، بَلْ يُضِيءُ أَمَامَ ٱللهِ.

نَصْرُ_ٱلنَّفْسِ / أَغْلِبْ_نَفْسَكَ / ٱلْآبَاءُ_ٱلْقِدِّيسُونَ

شذرات رحيَّة من جبل آثوس المقدَّس

١٤ – مساعدة لشاب – تتمة من العدد السابق

مرّةً أخرى:

– ماذا أكلتَ اليوم؟

– لحمًا.

– أَكُلَّ الوقت لحمٌ ستأكل؟ كُلْ أحيانًا طبقًا من الفاصولياء أيضًا.

« ولمّا قلتُ له إنّي، وأنا ابنُ ستةَ عشرَ عامًا، كنتُ أذهبُ عشرةَ أيّامٍ إلى **دير ديونيسيو** فترةَ اختبار، ثمّ أرحلُ وأعودُ مرّةً أخرى لأسبوعٍ... قال لي: «ولماذا كنتَ ترحل من هناك؟ ماذا كان سيصيبك؟ هناكَ كثيرٌ من الناس. إنّما كان **الشيطان** يطردك».

« ومرّةً أخرى قال لي: «اذهبْ إلى **دير البارلقليط**؛ هؤلاء سيعلّمونك **فنَّ الأيقونة** وأن تُرتِّل. إنّهم طيّبون».

« ومرّةً أخرى قال لي: «أيعجبُكَ هناك عند **الأب فوتيوس في كالّيسيا**؟ التحِقْ به **راهبًا**؛ **لن يُشدِّد عليك في الطعام**، فهو رجلٌ طيّب. ستذهبُ كلَّ يومٍ **مَشْيًا** إلى **بِنْتِلي** لتأخذَ خبزك، وتساعدَه في الأعمال، وتُرتّل في **الخدمات الإلهيّة**. إنّه يعرف أن يُرتّل، لكن ليس له **صوتٌ حسن**». والغريب أنّه في كلّ مرّةٍ كنتُ في كالّيسيا، وكان الأبُ فوتيوس يكلّفني بعملٍ ما، كان يخالجني **إحساسٌ بحضور القدّيس** (وكان يومئذٍ حيًّا في **أوروبوس**) كأنّه **في مكانٍ بعيدٍ مُضيءٍ يراقبني ويبتسم**.»

« أراد (القدّيس) أن يُوصِلَني بـ **الأب مِتروفانيس في روفيليستا**، وقد كان. وقال لي القدّيس بوضوح: «إن فعلتَ ما يقوله لك الأبُ مِتروفانيس، فستخلُصُ حتمًا».

« حين كنتُ جنديًّا في **يوانِينا**، خرجتُ في إجازة، ومن كُشكٍ اتّصلتُ بالقدّيس. عادةً لم يكن الاتّصال يكلّف أكثر من **خمسمائة دراخما**، لكنّه هذه المرّة طال كثيرًا؛ ولم أُرِد أن أُقاطِعَه، غير أنّي، بعدما تجاوزتُ **الألف** ولم يبقَ معي مال، كنتُ سأقع في الإحراج. تركتُه يتكلّم وقلتُ: «**الله يتدبّر**». في النهاية سألتُ صاحبَ الكُشك **على استحياء**، وبينما كنتُ أتوقّع **ألفين**، قال لي: «**عشرُ دراخمات، وحدةٌ واحدة**». أؤمن أنّ القدّيس **ألهمه**، إذ كان يعرف **ضيق حالي** المادّيّ، من غير أن يتضرّر صاحبُ الكُشك بالطبع.»

« وبعد مُدّةٍ من الزمان، حين كنتُ أتّصل به، كان يسألني أوّلًا:

– **كيف حال خِريستوس**؟ بخير؟ هل يعمل؟ (يعني أخي، وهو أكبر منّي بسبع سنوات، وقد تزوّج وهو ابنُ ثماني عشرة).

– **أيُّ خِريستوس، يا شيخي**؟ قلتُ في المرّة الأولى.

– **أخوك خِريستوس**: (مع أنّي لم أُخبره قطّ عن أخي ولا أنّ اسمه خِريستوس).

« **وكان الشيخُ يُوحي بأنّ عُمرك سيطولُ؛ إذ كان يغرسُ الأشجارَ ويعتني بك**. كنتَ يومًا واقفًا عند الزاوية من دون القَلَنْسُوَة، في الصيف، **وكان الشيخُ يحملُ البَغاءَ الأحمرَ الكبير** بين يديه ويعتني به كأنّه طفل. **وفي عينيه** الزرقاوَيْنِ كنتَ ترى السماءَ كلَّها والبحرَ كلَّه فيهما، لونًا كصباحٍ ربيعيّ. كانت الساعةُ نحو التاسعة صباحًا. **وكان الشيخُ** يوجّه من عُلُوٍّ إرشاداتِه للأطفال **ليَغرسوا الأشجار**.»

توضيح الأدوار بإيجاز:

الشيخ/القدّيس بورفيريوس: هو الذي ينصح ويوجّه، وهو الذي يُلهِم صاحبَ الكشك، وهو الذي يحمل البَبّغاء ويوجّه الأطفال لغرس الأشجار.

الراوي (الراهب الشاب): المخاطَب بـ «كنتَ...»، وهو مَن كان يقصده الشيخ بالنصائح.

الأب فوتيوس (كالّيسيا): يستقبل الراوي للعمل والترتيل، «يعرف أن يُرتّل لكن ليس له صوتٌ حسن».

الأب مِتروفانيس (روفيليستا): ربطَ القدّيسُ الراوي به، مع وعدٍ بالخلاص إن أطاعه.

خِريستوس: أخُ الراوي؛ ذِكرُه يَرِد بوحيٍ معرفيّ من القدّيس، من غير أن يكون للراوي قد أخبره عنه.

يتبع في العدد القادم

تَكْتِيكُ الشَّيَاطِينِ: (مِنْ تَعَالِيمِ القِدِّيسَةِ سِينْكْلِيتِكِي)

إِنَّ القِدِّيسَةَ سِينْكْلِيتِكِي، وَهِيَ مِنْ أَلْمَعِ الشَّخْصِيَّاتِ فِي الحَيَاةِ النُّسْكِيَّةِ النِّسَائِيَّةِ، قَدِ اسْتَنَارَتْ بِنِعْمَةِ اللهِ، فَعَرَفَتِ الحَقَّ الإِلَهِيَّ، وَبِهِ غَلَبَتْ أَهْوَاءَ العَالَمِ، وَارْتَقَتْ إِلَى العُلُوِّ السَّامِي لِلْقَدَاسَةِ.

وَمِنْ بَيْنِ تَعَالِيمِهَا الحَكِيمَةِ الَّتِي وَجَّهَتْهَا إِلَى الرَّاهِبَاتِ اللَّوَاتِي كُنَّ يُجَاهِدْنَ مَعَهَا فِي سَاحَةِ النُّسْكِ، نَتَعَلَّمُ نِظَامَ الحَرْبِ وَتَرْتِيبَهَا الَّتِي يَشُنُّهَا الشَّيَاطِينُ عَلَى المُؤْمِنِينَ.

فِي البِدَايَةِ يُحَارِبُنَا الشَّيَاطِينُ بِشَهْوَةِ اللَّذَّةِ، أَيْ بِحُبِّ البَطْنِ وَالشَّهَوَاتِ الجَسَدِيَّةِ وَسَائِرِ المُلَذَّاتِ (كَالنَّهَمِ وَالزِّنَا وَمَا يُشْبِهُ ذٰلِكَ). فَإِنْ لَمْ يَنْتَصِرُوا عَلَيْنَا بِهٰذِهِ الحِيلَةِ، يَلْجَؤُونَ إِلَى سِلَاحٍ آخَرَ وَهُوَ حُبُّ المَالِ، أَيْ الطَّمَعُ وَعِبَادَةُ المُتَمَلَّكَاتِ.

وَإِنْ ظَلَّ المُؤْمِنُ ثَابِتًا وَلَمْ يُهْزَمْ لَا بِشَهْوَةِ الجَسَدِ وَلَا بِحُبِّ المَالِ، اسْتَعْمَلَ العَدُوُّ عِنْدَئِذٍ آخِرَ أَسْلِحَتِهِ وَأَخْطَرَهَا، وَهُوَ الكِبْرِيَاءُ (أَيْ طَلَبُ المَجْدِ البَاطِلِ وَالغُرُورُ بِالنَّفْسِ وَمَا إِلَى ذٰلِكَ).

فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يُلْقِي فِي النَّفْسِ فِكْرَةً خَادِعَةً بِأَنَّهَا قَدْ أَنْجَزَتِ انْتِصَارَاتٍ رُوحِيَّةً لِأَنَّهَا غَلَبَتِ اللَّذَّةَ وَالطَّمَعَ، فَيُضِلُّهَا بِوَهْمٍ بَاطِلٍ، وَهُوَ أَنَّهَا قَدْ نَجَحَتْ فِي الجِهَادِ الحَسَنِ، وَيُمْكِنُهَا أَنْ تَسْتَرِيحَ رَاضِيَةً عَنْ نَفْسِهَا. وَلِهٰذَا السَّبَبِ يُعَلِّمُنَا جَمِيعُ الآبَاءِ القِدِّيسِينَ أَنْ نَسْهَرَ حَتَّى آخِرِ نَسْمَةٍ مِنْ حَيَاتِنَا، وَأَلَّا نَعْتَقِدَ أَبَدًا أَنَّنَا أَنْجَزْنَا شَيْئًا أَوْ بَلَغْنَا الكَمَالَ.

تفسير روحي

١) البِدَايَةُ: سِلَاحُ اللَّذَّةِ

يَبْدَأُ الشَّيْطَانُ حَرْبَهُ مِنْ أَضْعَفِ أَبْوَابِ الإِنْسَانِ: الجَسَدِ. فَهُوَ يَزْرَعُ فِي النَّفْسِ حُبَّ الأَكْلِ وَالنَّوْمِ وَالرَّاحَةِ وَالشَّهْوَةِ. هَدَفُهُ أَنْ يُلْهِيَ المُؤْمِنَ عَنِ الجِهَادِ الرُّوحِيِّ، وَيَجْعَلَهُ عَبْدًا لِمَلَذَّاتِهِ. وَكُلُّ مَنْ يُهْزَمُ هُنَا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَدْخُلَ أَبَدًا إِلَى العُمْقِ الرُّوحِيِّ، لِأَنَّ مَنْ يُسْتَعْبَدُ لِلْجَسَدِ يَفْقِدُ حُرِّيَّةَ الرُّوحِ.

٢) إِنْ فَشِلَ... يَنْتَقِلُ إِلَى حُبِّ المَالِ

حِينَ يَرَى العَدُوُّ أَنَّ المُؤْمِنَ صَامَ وَقَهَرَ الجَسَدَ، يُهَاجِمُهُ مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ: حُبِّ المَالِ وَالمُمْتَلَكَاتِ. فَيُظْهِرُ لَهُ المَالَ كَأَنَّهُ أَمَانٌ أَوْ وَسِيلَةٌ لِخِدْمَةِ اللهِ، بَيْنَمَا فِي الحَقِيقَةِ هِيَ شَبَكَةٌ لِلطَّمَعِ. وَكَمَا قَالَ الرَّبُّ: «لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَالمَالَ» (مَتَّى ٦: ٢٤). إِنَّ حُبَّ المَالِ يُبَدِّدُ نَقَاوَةَ القَلْبِ وَيُطْفِئُ حَرَارَةَ الإِيمَانِ.

٣) الكِبْرِيَاءُ: السِّلَاحُ الأَخِيرُ

وَإِنْ فَشِلَ الشَّيْطَانُ فِي هٰذَيْنِ السِّلَاحَيْنِ، أَطْلَقَ آخِرَ سَهْمٍ فِي جُعْبَتِهِ: **الكِبْرِيَاءَ**. فَهِيَ أَخْطَرُ مِنَ الخَطِيئَةِ نَفْسِهَا، لِأَنَّهَا تُخْفِي ذَاتَهَا تَحْتَ قِنَاعِ الفَضِيلَةِ، وَتَجْعَلُ الإِنْسَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ قَدْ أَصْبَحَ بَارًّا أَوْ قِدِّيسًا، فَيَسْقُطُ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي. الكِبْرِيَاءُ سَبَبُ سُقُوطِ المَلَائِكَةِ الأَوَّلِ، وَبِهَا يَهْلِكُ أَيْضًا كَثِيرٌ مِنَ المُجَاهِدِينَ.

٤) خِدْعَةُ النَّجَاحِ الرُّوحِيِّ

مِنْ أَخْبَثِ أَلَاعِيبِ العَدُوِّ أَنْ يُذَكِّرَ النَّفْسَ بِفَضَائِلِهَا وَانْتِصَارَاتِهَا لِتَنْتَفِخَ بِهَا. فَيُحَدِّثُهَا قَائِلًا: «لَقَدْ غَلَبْتِ الشَّهْوَةَ وَالطَّمَعَ، أَنْتِ نَاجِحَةٌ فِي جِهَادِكِ». وَهٰكَذَا يَزْرَعُ فِيهَا رِضًى بَاطِلًا يَجْعَلُهَا تَتَرَاخَى فِي الصَّلَاةِ، وَتَفْقِدَ تَوَاضُعَهَا. لِذٰلِكَ قَالَ الآبَاءُ: «خَيْرٌ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَسْقُطَ فِي خَطِيئَةٍ بِتَوْبَةٍ، مِنْ أَنْ يَنْتَفِخَ بِبِرٍّ كَاذِبٍ.»

٥) السُّهْرُ حَتَّى النَّفَسِ الأَخِيرِ

تَخْتِمُ القِدِّيسَةُ سِنْكْلِيتِكِي تَعْلِيمَهَا بِدَعْوَةٍ إِلَى اليَقَظَةِ الدَّائِمَةِ. فَالمَعْرَكَةُ لَا تَنْتَهِي إِلَّا بِالمَوْتِ. لَا يَحِقُّ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَقُولَ: «انْتَصَرْتُ» مَا دَامَ يَتَنَفَّسُ؛ **فَكُلُّ لَحْظَةٍ قَدْ تَحْمِلُ تَجْرِبَةً جَدِيدَةً.** وَلِذٰلِكَ، فَالتَّوَاضُعُ وَالسَّهَرُ هُمَا تَاجُ النَّصْرِ الحَقِيقِيِّ؛ إِذْ إِنَّ الَّذِي يَعْرِفُ ضَعْفَهُ هُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يَبْقَى مُتَّكِلًا عَلَى اللهِ إِلَى النِّهَايَةِ.

شهادات وآباء

فالكنيسةُ الروميَّةُ الأرثوذكسيَّةُ، وخاصَّةً أديرتُها المقدَّسةُ، تُجاهِدُ الجهادَ الحَسَن، ساعيةً نحوَ التوبةِ الدائمةِ والاتِّضاعِ الصادق. لا تُعلِنُ نَفسَها مُخلِّصَةً، بل تَرجُو الخلاصَ كعطيَّةٍ من الله تُمنَحُ في نهايةِ الطريق.

أمَّا الطوائفُ الجديدةُ التي نَبَتَت كالفُقعِ في الأرض بعدَ المطر، فتقولُ بجرأةٍ باطلةٍ: **«الآنَ قد خَلَصتُ!»**، غافلةً عن أنَّ الخلاصَ ليسَ إعلانًا بشريًّا، بل سيرٌ يوميٌّ في طريقِ الصليبِ والطهارةِ والتوبةِ، حتى يدخلَ الإنسانُ ملكوتَ الله الذي أُعِدَّ للمُتَّقين.

ولنا شَهادةُ **القدِّيس مكاريوس الكبير**، الذي عندَ ساعةِ انتقالِه من هذا العالم، حارَبَهُ **الشيطانُ** في الثوانِي الأخيرة، قائلاً له بمكرٍ: «**لقد غلبتَني يا مكاريوس!**» لكي يزرعَ في قلبِه **سُمَّ الكبرياءِ** في لحظةِ النهاية.

لكنَّ **القدِّيس مكاريوس**، المستنيرَ بنعمةِ **الرُّوحِ القُدُس**، أدركَ خديعةَ العدوِّ، فأجابهُ بثباتٍ واتِّضاعٍ قائلاً: «نِعمةُ المسيحِ هي التي أنقذتني من شركَ، أيها الشرير!»؛ وهكذا أُكْلِلَ القدِّيسُ بانتصارِ التواضع، مُظهِرًا أنَّ الخلاصَ لا يُنالُ بالجهدِ البشريِّ، بل **بالمسيحِ** وحده الذي يمنحُ الغلبةَ لمن يُجاهدُ باتِّضاعٍ وصبرٍ حتى النفسِ الأخير.

وكما قالَ **القدِّيسُ يعقوبُ أخو الرَّبّ**: «كُلُّ عَطِيَّةٍ صَالِحَةٍ وَكُلُّ مَوْهِبَةٍ تَامَّةٍ هِيَ مِنْ فَوْقُ، نَازِلَةٌ مِنْ عِنْدِ أَبِي الأَنْوَارِ» (يعقوب ١ : ١٧)

ونَختمُ بما قالَه السَّيِّدُ **المسيحُ** نفسُه، مؤكِّدًا جوهرَ الطريقِ الروحيّ: «بِدُونِي لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا» (يوحنا ١٥ : ٥). **فبهِ نبدأ، وبهِ نُكمِل، وبهِ نُخلَّص، لأنَّه القوَّةُ التي تُحيي، والنِّعمةُ التي تُثبِّت، والمحبَّةُ التي لا تَسقُط أبدًا.**

النَّحْلَةُ لَا تُخاصِمُ الذُّبابَةَ، فَالْعَسَلُ عَسَلٌ، وَالْقِمامَةُ قِمامَةٌ. قالَ الرَّبُّ: «مِنَ الثَّمَرِ يُعْرَفُ الشَّجَرُ» (مَتّى ١٢ : ٣٣). وَكَما تُعْرَفُ الشَّجَرَةُ مِنْ ثَمَرِها، هَكَذَا يُعْرَفُ الإِنْسانُ مِنْ أَعْمالِهِ وَأَقْوالِهِ. فَالنَّحْلَةُ لَا تُخاصِمُ الذُّبابَةَ، لِأَنَّ طَبِيعَتَها أَنْ تَجْمَعَ رَحِيقَ الأَزْهارِ وَتُحَوِّلَهُ إِلَى عَسَلٍ، أَمَّا الذُّبابَةُ فَتَنْجَذِبُ إِلَى الْقَذارَةِ. هَكَذَا أَيْضًا، النَّفْسُ النَّقِيَّةُ لَا تُنافِسُ النَّفْسَ الْفاسِدَةَ، وَلَا تَسْعَى لِإِثْباتِ الحَقِيقَةِ فِي مَوْضِعٍ لَا تُوجَدُ فِيهِ رَغْبَةٌ لِقَبُولِها.

قالَ القِدِّيسُ إِسحاقُ السُّوريُّ:

«النَّفْسُ الَّتِي عَرَفَتِ الرَّبَّ تَلْتَزِمُ الصَّمْتَ حِينَ تُظْلَمُ، وَلا تَغْتاظُ، لِأَنَّها تَعْلَمُ أَنَّ اللهَ يَرَى كُلَّ شَيْءٍ، وَيُجازِي فِي حِينِهِ».

إِنَّ النَّفْسَ المُتَواضِعَةَ لا تَحْتاجُ إِلى أَنْ تَنْتَصِرَ بالكَلامِ، لِأَنَّ سَلامَها نَفْسَهُ يَجْعَلُها الغالِبَةَ.

قالَ القِدِّيسُ أَنْطونيوسُ الكَبيرُ:

«كَما تَصنَعُ النَّحْلَةُ العَسَلَ حتّى بَيْنَ الأَشْواكِ، هَكَذَا أَيْضًا الإِنْسانُ العَاقِلُ يَجِدُ الفَضِيلَةَ حتّى فِي وَسَطِ التَّجارِبِ». أَمَّا الذُّبابَةُ، فَحَيْثُمَا ذَهَبَتْ، تَبْحَثُ عَنِ العَفَنِ، لِأَنَّ ذِهْنَهَا لَمْ يَتَعَلَّمْ أَنْ يَرَى النَّقِيَّ، بَلِ الدَّنِيءَ وَالنَّجِسَ.»

قالَ المُرتِّلُ:

الَّذِي بِلَا عَيْبٍ لَا يُقارِنُ، وَلَا يُهِينُ، وَلَا يُجادِلُ، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ مَسْكَنَهُ الحَقِيقِيَّ هُوَ سَلَامُ اللهِ.

وَعِنْدَمَا يَتَعَلَّمُ الإِنْسَانُ أَنْ يَتَذَوَّقَ عَسَلَ النِّعْمَةِ، فَلَنْ يَرْغَبَ أَبَدًا فِي العَوْدَةِ إِلَى **عَفَنِ الأَهْوَاءِ**. وَكَمَا أَنَّ النَّحْلَةَ لَا تُضَيِّعُ وَقْتَهَا لِتُثْبِتَ لِلذُّبَابَةِ قِيمَةَ العَسَلِ، كَذَلِكَ الإِنْسَانُ الرُّوحِيُّ لَا يَفْقِدُ سَلَامَهُ لِيُثْبِتَ الحَقِيقَةَ لِأُولَئِكَ الَّذِينَ يَرْفُضُونَ أَنْ يَشْعُرُوا بِهَا.

مَنْ يَحْيَا فِي **المَسِيحِ** يَحْيَا فِي نَقَاوَةِ المَحَبَّةِ، حَيْثُ تَتَوَاضَعُ كُلُّ الأَشْيَاءِ وَتَسْتَنِيرُ جَمِيعُهَا؛ لِأَنَّ اللهَ لَا يَسْكُنُ فِي الاضْطِرَابِ، بَلْ فِي سَلَامِ القَلْبِ الَّذِي يَعْرِفُ كَيْفَ يُمَيِّزُ العَسَلَ الحَقِيقِيَّ مِنْ **فَسَادِ العَالَمِ**. السَّلَامُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى بَرَاهِينَ، يَكْفِي أَنْ يَفُوحَ عِطْرُهُ.

النَّفْسُ الَّتِي **تَعْرِفُ النُّورَ** لا تُحاوِرُ **مَعَ الظَّلامِ**. مِثْلُ النَّحْلَةِ، فَلْنَجْمَعْ فَقَطْ ما يُمْنَحُ الحَياةَ. فِي الهُدُوءِ تَكْمُنُ غَلَبَةُ الرُّوحِ، وَفِي النَّقاوَةِ **مَذاقُ اللهِ**. فَلْنَسْعَ لا إِلَى إِقْناعِ الذُّبابَةِ، **بَلْ إِلَى أَنْ نَصِيرَ نَحْلًا**.

حَيْثُ يَقْطُرُ عَسَلُ النِّعْمَةِ، هُناكَ تَسْتَرِيحُ النَّفْسُ. «طُوبى لِلإِنْسانِ الَّذي لَمْ يَسْلُكْ فِي مَشُورَةِ الأَشْرارِ» (مَزْمُور ١:١). فَلْنَقْتَدِ بِنَحْلَةِ اللهِ، الَّتِي بِصَبْرٍ وَاتِّضاعٍ تَصْنَعُ عَسَلَ الخَلاصِ.

إِنْ لامَسَكَ هَذا القَوْلُ، فَاحْفَظْهُ فِي داخِلِكَ تِذْكارًا لِلسَّلامِ الَّذي يُمْنِحُهُ الصَّمْتُ.

عسل النفس هو سلام الله.

مَتَى يَكُونُ جِهَادُنَا مُرْضِيًا للهِ؟

لِلقِدِّيسِ نِيكِيتَاسْ سْتِثَاتُوسْ

اِنْزِعْ عَنْكَ عَارَ التَّهَاوُنِ وَالِاحْتِقَارِ النَّاتِجِ عَنْ اِزْدِرَاءِ وَصَايَا اللهِ.

اِطْرُدْ مَحَبَّةَ الذَّاتِ بَعِيدًا، وَاقْمَعْ بِحَزْمٍ شَهَوَاتِ الجَسَدِ.

أُطْلُبْ أَنْ تَتَعَلَّمَ وَتَحْفَظَ وَصَايَا الرَّبِّ وَشَهَادَاتِ نَامُوسِهِ.

اِحْتَقِرِ الْمَجْدَ الْبَشَرِيَّ وَالْعَارَ أَيْضًا.

أَبْغِضِ الرَّغَبَاتِ الشَّهْوَانِيَّةَ لِلْجَسَدِ.

تَجَنَّبِ الشِّبَعَ الْمُفْرِطَ الَّذِي مِنْهُ تَشْتَعِلُ الْأَهْوَاءُ الْجَسَدِيَّةُ.

عَانِقِ الْفَقْرَ وَاحْتِمَالَ الْمَشَقَّاتِ.

قِفْ شُجَاعًا فِي وَجْهِ الْأَهْوَاءِ.

وَجِّهْ حَوَاسَّكَ نَحْوَ دَاخِلِ النَّفْسِ.

اِنْحَنِ إِلَى دَاخِلِكَ لِلْعَمَلِ فِي الْأُمُورِ الْعُلْيَا.

اِصْمِمْ عَنْ أُمُورِ النَّاسِ.

اِبْذُلْ كُلَّ قُدْرَتِكَ فِي عَمَلِ الْوَصَايَا.

اِبْكِ، وَنَمْ عَلَى الْأَرْضِ، وَصُمْ، وَتَحَمَّلِ الْمَشَقَّةَ، وَاهْدَأْ،

وَأَخِيرًا تَعَلَّمْ لَا مَا حَوْلَكَ، بَلْ ذَاتَكَ.

اِرْتَفِعْ فَوْقَ ضَعَةِ الْمَنْظُورَاتِ الْمَادِّيَّةِ.

اِبْسُطْ عَيْنَيِ الذِّهْنِ نَحْوَ تَأَمُّلِ اللهِ،

وَانْظُرْ حَلَاوَةَ الرَّبِّ مِنْ خِلَالِ جَمَالِ مَخْلُوقَاتِهِ.

وَبَعْدَ ذَلِكَ، حَدِّثْ إِخْوَتَكَ عَمَّا يَتَعَلَّقُ بِالْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ

وَأَسْرَارِ مَلَكُوتِ اللهِ.

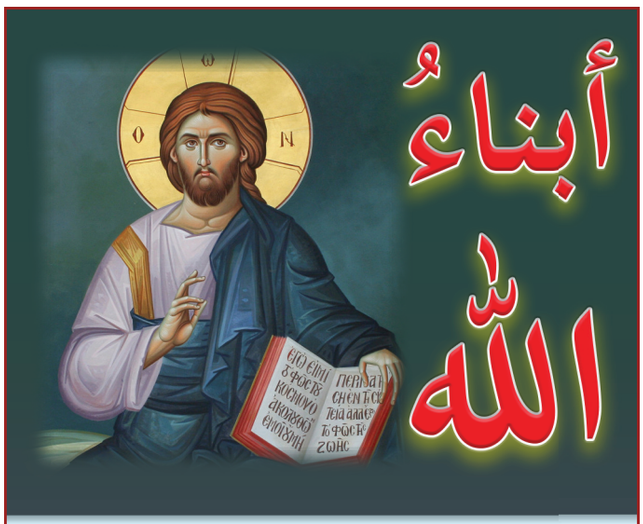

أَبْنَاءُ اللهِ

«اُنْظُرُوا أَيَّ مَحَبَّةٍ أَعْطَانَا الآبُ حَتَّى نُدْعَى أَوْلَادَ اللهِ، وَنَحْنُ هكَذَا!» (١ يوحنّا ٣: ١)

إِنَّ مَحَبَّةَ اللهِ لَيْسَتْ فِكْرَةً وَلَا عَقِيدَةً نَظَرِيَّةً، بَلْ هِيَ عِلَاقَةٌ حَيَّةٌ، وَدَعْوَةٌ إِلَى الْأُبُوَّةِ وَالْبُنُوَّةِ. فَاللهُ لَا يَقِفُ بَعِيدًا عَنَّا كَدَيَّانٍ، بَلْ يَنْحَنِي بِحَنَانٍ نَحْوَ سُقُوطِ الْإِنْسَانِ، لِكَيْ يُقِيمَهُ بِنُورِ الْمَغْفِرَةِ. إِنَّهُ يُسَمِّينَا أَبْنَاءَهُ، لَا لِأَنَّنَا نَسْتَحِقُّ ذٰلِكَ، بَلْ لِأَنَّهُ شَاءَهُ بِرَحْمَةٍ لَا تُقَاسُ.

حِينَما نَقُولُ: «أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ»، تَنْفَتِحُ السَّمَاءُ، وَتَجِدُ قُلُوبُنَا مَوْضِعَهَا الْحَقِيقِيَّ. فَفِي هٰذِهِ الصَّلَاةِ لَا نُخَاطِبُ إِلٰهًا مَجْهُولًا، بَلْ أَبًا يَعْرِفُ دُمُوعَنَا وَتَنَهُّدَاتِنَا. وَفِي وَسَطِ كُلِّ تَجْرِبَةٍ يَهْمِسُ لَنَا صَوْتُهُ الْأَبَوِيُّ قَائِلًا:

«لَا تَخَفْ، يَا ابْنِي، فَأَنَا مَعَكَ».

إِنَّ الْمَحَبَّةَ الْإِلٰهِيَّةَ لَا تَطْلُبُ الْكَمَالَ، بَلِ التَّوْبَةَ. لَا تُرِيدُ اسْتِعْرَاضًا، بَلْ عَوْدَةً صَادِقَةً. وَكَمَا وَجَدَ الْابْنُ الضَّالُّ حِضْنَ أَبِيهِ مَفْتُوحًا، هٰكَذَا كُلُّ نَفْسٍ تَعُودُ تَنَالُ رَاحَةً، وَيُزْهِرُ فِي دَاخِلِهَا الْيَقِينُ بِأَنَّهَا لَيْسَتْ بَعْدُ وَحْدَهَا. فَالْأَبُ لَا يَمَلُّ مِنَ الِانْتِظَارِ، وَالِابْنُ لَا يَفْقِدُ بُنُوَّتَهُ أَبَدًا مَهْمَا ابْتَعَدَ.

مَعْرِفَتُنَا بِأَنَّنَا أَبْنَاءُ اللهِ تُغَيِّرُ كُلَّ شَيْءٍ. فَلَمْ نَعُدْ غُرَبَاءَ وَلَا أَيْتَامًا فِي هٰذَا الْعَالَمِ، بَلْ مُقَرَّبِينَ مِنَ النِّعْمَةِ، وَلَنَا أَبٌ يَحْمِلُ طَرِيقَ حَيَاتِنَا بَيْنَ يَدَيْهِ.

لِكُلِّ نَفْسٍ تَشْعُرُ بِالْوَحْدَةِ أَوِ الضَّعْفِ، يَكْفِي «يَا أَبِي» وَاحِدَةٌ، لِكَيْ تَضِيءَ الرَّجَاءُ مِنْ جَدِيدٍ.

لَيْتَنَا نَحْيَا كُلَّ يَوْمٍ كَأَبْنَاءِ اللهِ، وَاقِفِينَ بِالِامْتِنَانِ وَالتَّوَاضُعِ أَمَامَ مَحَبَّةٍ لَا تَتَوَقَّفُ عَنِ الدَّعْوَةِ.

عِنْدَمَا تَعْتَرِفُ بِاللهِ أَبًا لَكَ، يَزُولُ الْخَوْفُ، وَلَا يَبْقَى إِلَّا الثِّقَةُ وَالسَّلَامُ.

وَلَا تَنْسَ أَبَدًا: أَنْتَ ابْنُهُ... مَحْبُوبٌ، وَمَكْتُوبٌ فِي قَلْبِهِ إِلَى الْأَبَدِ.

لستُ قاضيًا، بل طبيبًا: «لأَنِّي لَمْ آتِ لأَدِينَ الْعَالَمَ بَلْ لأُخَلِّصَ الْعَالَمَ.» (يو ١٢: ٤٧).

يَدْعُو فَوْرًا المَجُوسَ. يَا لَلْعَجَبِ! يَا لِلأُمُورِ الجَدِيدَةِ وَالعَجِيبَةِ!

إِنَّ البَاكُورَةَ الأُولَى هُمُ المَجُوسُ أَنْفُسُهُمْ، فَالمَجُوسُ يَأْتُونَ وَيَسْجُدُونَ لَهُ فِي الحَالِ.

يَأْتِي العَشَّارُ فَيَصِيرُ إِنْجِيلِيًّا، وَتَأْتِي الزَّانِيَةُ فَتَصِيرُ عَذْرَاءَ، وَتَأْتِي الكَنْعَانِيَّةُ فَتَنَالُ رَأْفَتَهُ وَمَحَبَّتَهُ لِلبَشَرِ.

هَذِهِ هِيَ سِمَةُ المُحِبِّ الحَقِيقِيِّ: أَنْ لَا يُطَالِبَ بِالمَسْؤُولِيَّةِ عَنِ الخَطَايَا، بَلْ أَنْ يَغْفِرَ الآثَامَ وَالتَّعَدِّيَاتِ. وَمَاذَا يَفْعَلُ؟ يَأْخُذُهَا، وَيَخْطُبُهَا لِنَفْسِهِ. وَمَاذَا يُعْطِيهَا؟ خَاتَمًا.

ثُمَّ يَقُولُ: «أَمَا غَرَسْتُكِ فِي الفِرْدَوْسِ؟»

فَتُجِيبُهُ: «نَعَمْ». «فَكَيْفَ سَقَطْتِ مِنْ هُنَاكَ؟» فَتَقُولُ: «أَتَى إِبْلِيسُ وَأَخَذَنِي مِنَ الفِرْدَوْسِ».

لَقَدْ زُرِعْتِ فِي الفِرْدَوْسِ وطُرِدْتِ مِنْهُ، وَهَا أَنَا أَزْرَعُكِ فِي دَاخِلِي، أَنَا أَضُمُّكِ إِلَيَّ. أَضُمُّكِ فِي دَاخِلِي، أَنَا، رَبُّ السَّمَاءِ. الرَّاعِي يَحْمِلُكِ، فَلَا يَقْدِرُ الذِّئْبُ أَنْ يَقْتَرِبَ بَعْدُ.

وَمَاذَا بَعْدُ؟ تَقُولُ: «لَكِنِّي خَاطِئَةٌ وَنَجِسَةٌ».

لَا تَهْتَمِّي، فَأَنَا الطَّبِيبُ. أَعْرِفُ إِنَائِي الخَاصَّ، وَأُعِيدُ تَشْكِيلَهُ مِنْ جَدِيدٍ بِحَمِيمِ الوِلَادَةِ الثَّانِيَةِ.»

ملاحظات روحيّة ولاهوتيّة متسلسلة

١) المَسيحُ الطَّبيبُ لا القاضي

يُظهِرُ القدِّيسُ يُوحَنّا الذهبيُّ الفَمِ وجهَ المَسيحِ كَطَبيبٍ لِلنُّفوسِ لا كَقاضٍ لِلدَّينونةِ. فهو لا يَدخُلُ قلبَ الإنسانِ لِيُصدِرَ حُكمًا عليه، بَل لِيَشفِيَهُ مِن أمراضِهِ. ولِذلكَ يُشبِّهُ الكنيسةَ بِالمُستشفَى الرُّوحيِّ الَّذي يُعالَجُ فيهِ الجَرحى بِالتَّوبةِ، لا بِالمَحكَمةِ الَّتي يُدانُ فيها الخُطاةُ. فاللهُ لا يَطلُبُ الهَلاكَ بلِ الشِّفاءَ، ولا الدَّينونةَ بلِ الخَلاصَ.

٢) تَنَوُّعُ الخُطاةِ واتِّحادُهُم في النِّعْمَةِ

يَسْتَعْرِضُ القِدِّيسُ أَمْثِلَةً مُتَنَوِّعَةً تُعَبِّرُ عَنْ شُمُولِ نِعْمَةِ المَسِيحِ: المَجُوسُ الباحِثُونَ عَنِ النُّورِ، وَالعَشَّارُ المَأْسُورُ بِمَحَبَّةِ المالِ، وَالزَّانِيَةُ السَّاقِطَةُ فِي الجَسَدِ، وَالكَنْعانِيَّةُ الغَرِيبَةُ عَنِ الإِيمانِ. جَمِيعُهُمْ نَالُوا الرَّحْمَةَ عَيْنَهَا، لِأَنَّ مَحَبَّةَ المَسِيحِ لا تَسْتَثْنِي أَحَدًا؛ بَلْ تَجْمَعُ المُتَباعِدِينَ وَتُوَحِّدُ المُخْتَلِفِينَ بِالتَّوْبَةِ فِي نِعْمَةٍ واحِدَةٍ، «لِأَنَّهُ حَيْثُ كَثُرَتِ الخَطِيئَةُ ازْدادَتِ النِّعْمَةُ جِدًّا» (رومية ٥: ٢٠).

٣) الزَّوَاجُ الرُّوحِيُّ بَيْنَ المَسِيحِ وَالكَنِيسَةِ

حِينَ يَقُولُ القِدِّيسُ إِنَّ المَسِيحَ «أَخَذَهَا وَخَطَبَهَا لِنَفْسِهِ»، فَهُوَ يَسْتَخْدِمُ لُغَةَ الزَّوَاجِ لِيَصِفَ سِرَّ العَهْدِ الجَدِيدِ بَيْنَ المَسِيحِ وَكَنِيسَتِهِ. فَالمَسِيحُ هُوَ العَرِيسُ الإِلَهِيُّ الَّذِي يَخْطُبُ النَّفْسَ البَشَرِيَّةَ، وَيَمْنَحُهَا الخَاتَمَ رَمْزًا لِلعَهْدِ الأَبَدِيِّ، أَيْ نِعْمَةَ الرُّوحِ القُدُسِ. إِنَّهُ اتِّحادُ الحُبِّ الإِلَهِيِّ الَّذِي لَا يَنْفَصِمُ، حَيْثُ يَصِيرُ الإِنسَانُ شَرِيكًا فِي حَيَاةِ اللهِ بِالنِّعْمَةِ.

٤) الفِرْدَوْسُ الجَدِيدُ هُوَ المَسِيحُ نَفْسُهُ

يُقارِنُ الذَّهَبِيُّ الفَمِ بَيْنَ الفِرْدَوْسِ الأَوَّلِ الَّذِي طُرِدَ مِنْهُ آدَمُ، وَالفِرْدَوْسِ الجَدِيدِ الَّذِي هُوَ شَخْصُ المَسِيحِ نَفْسُهُ. فَالإِنْسَانُ الَّذِي سَقَطَ مِنَ النِّعْمَةِ يُعَادُ غَرْسُهُ فِي االمَسِيحِ، لِيَجِدَ فِيهِ مَوْطِنَهُ الحَقِيقِيَّ. يَقُولُ الرَّبُّ لِلنَّفْسِ التَّائِبَةِ: «لَقَدْ أُخْرِجْتِ مِنَ الفِرْدَوْسِ، وَهَا أَنَا أَزْرَعُكِ فِي دَاخِلِي». بِهَذَا المَعْنَى يُصْبِحُ المَسِيحُ هُوَ الفِرْدَوْسَ الحَيَّ الَّذِي يَسْكُنُ فِيهِ الإِنْسَانُ وَيَسْتَعِيدُ الشَّرِكَةَ مَعَ اللهِ.

٥) الوِلادَةُ الجَديدَةُ بِالمَعْمُودِيَّةِ

فِي النِّهايَةِ يُبَيِّنُ القِدِّيسُ أَنَّ الطَّبِيبَ الإِلٰهِيَّ لا يَكْتَفِي بِمَغْفِرَةِ الخَطايَا، بَلْ يُعِيدُ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ جَدِيدٍ. وَذٰلِكَ يَتِمُّ فِي سِرِّ المَعْمُودِيَّةِ، الَّتِي يُسَمِّيهَا «حَمِيمَ الوِلادَةِ الثَّانِيَةِ»، حَيْثُ يُغْتَسَلُ الإِنْسَانُ مِنْ دَنَسِ الخَطِيئَةِ وَيُولَدُ مِنَ الرُّوحِ القُدُسِ. وَبِالمَعْمُودِيَّةِ يُشَكَّلُ الإِنْسَانُ مِنْ جَدِيدٍ عَلَى صُورَةِ اللهِ، لِيَبْدَأَ حَيَاةً جَدِيدَةً فِي المَسِيحِ يَسُوعَ، خَلِيقَةً نَقِيَّةً تَنْمُو فِي المَحَبَّةِ وَالنُّورِ.

هل يمكنني أن أفقد خلاصي

شذرات من دير سفاغمينو العامر للروم الأرثوذكس جبل آثوس اليونان

هَلْ يُمْكِنُنِي أَنْ أَفْقِدَ خَلاصِي؟

«لِذٰلِكَ يَجِبُ أَنْ نَنْتَبِهَ أَكْثَرَ إِلَى مَا سَمِعْنَا، لِئَلَّا نَنْزَلِقَ.» (عب٢: ١)

لِئَلَّا نَنْزَلِقَ، أَيْ نَنْحَدِرَ قَلِيلًا قَلِيلًا عَنِ الحَقِّ الَّذِي سَمِعْنَاهُ.

الخَلاصُ هُوَ أَعْظَمُ عَطِيَّةٍ مَنَحَهَا اللهُ لِلإِنْسَانِ.

المَسِيحُ، بِذَبِيحَتِهِ عَلَى الصَّلِيبِ، فَتَحَ لَنَا طَرِيقَ الحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ. لٰكِنَّ سُؤَالًا مُهِمًّا يَبْرُزُ: بَعْدَ أَنْ نِلْنَا الخَلاصَ، هَلْ يُمْكِنُ أَنْ نَفْقِدَهُ؟ يَعْتَقِدُ بَعْضٌ أَنَّهُ لَا شَيْءَ قَادِرٌ أَنْ يَنْتَزِعَنَا مِنْ يَدِ اللهِ، وَيُعَلِّمُ آخَرُونَ أَنَّهُ إِذَا عَاشَ الإِنْسَانُ فِي الخَطِيئَةِ وَالعِصْيَانِ، فَإِنَّهُ يُعَرِّضُ نَفْسَهُ لِخَطَرِ الابْتِعَادِ عَنِ النِّعْمَةِ. فَلْنَنْظُرْ إِذًا مَاذَا تُعَلِّمُنَا الكَنِيسَةُ الأُرْثُوذُكْسِيَّةُ مِنْ كَلِمَةِ اللهِ.

الخَلاصُ عَطِيَّةٌ مَجّانِيَّةٌ، لٰكِنَّهُ يَقْتَضِي تَعاوُنًا وَثَباتًا

«فَبِالنِّعْمَةِ أَنْتُمْ مُخَلَّصُونَ بِالإِيمَانِ، وَذٰلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ، هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ. لَيْسَ مِنْ أَعْمَالٍ لِكَيْ لَا يَفْتَخِرَ أَحَدٌ.» (أفسس ٢: ٨–٩)

النِّعْمَةُ تُخَلِّصُ، لا أَعْمَالُنا. لٰكِنَّ الإِيمَانَ الحَقِيقِيَّ يُوَلِّدُ أَعْمَالَ التَّوْبَةِ وَالطَّاعَةِ. وقالَ **الرَّبُّ** نَفْسُه: « وَلٰكِنِ الَّذِي يَصْبِرُ إِلَى الْمُنْتَهَى فَهٰذَا يَخْلُصُ.» (متّى ٢٤: ١٣)

خَلاصُنا لَيْسَ حَدَثًا آنِيًّا، بَل مَسِيرَةً مِنَ الجِهَادِ المُسْتَمِرِّ، وَالإِيمَانِ، وَتَزْكِيَةِ النَّفْسِ. وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يَبْلُغَ «قَامَةَ مِلْءِ المَسِيحِ» (أفسس ٤: ١٣)، يَجِبْ أَنْ يَبْقَى ثَابِتًا إِلَى النِّهَايَةِ.

خَطَرُ الِارْتِدَادِ عَنِ الإِيمَانِ

«لِأَنَّهُ مُحَالٌ أَنْ يُجَدَّدَ لِلتَّوْبَةِ أُولٰئِكَ الَّذِينَ اسْتُنِيرُوا مَرَّةً... ثُمَّ سَقَطُوا.» (عِبْرَانِيِّينَ ٦: ٤–٦)

لَا يَعْنِي هٰذَا أَنَّ اللهَ يَرْفُضُ التَّائِبَ، بَلِ الإِنسَانُ قَدْ يُغْلِقُ قَلْبَهُ عَنِ النُّورِ بِإِرَادَتِهِ، فَيَبْتَعِدُ عَمَّنْ خَلَّصَهُ. **اللهُ** لَا يَنْزِعُ الخَلاصَ، وَلٰكِنَّ الإِنسَانَ يُمْكِنُ أَنْ يَرْفُضَهُ وَيُنْكِرَهُ وَيَبْتَعِدَ عَنْهُ.

أَمَانُ الخَلاصِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالثَّبَاتِ فِي المَسِيحِ

«وَأَنَا أُعْطِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَلَنْ تَهْلِكَ إِلَى الأَبَدِ، وَلَا يَخْطَفُهَا أَحَدٌ مِنْ يَدِي». (يُوحَنَّا ١٠: ٢٨)

هٰذَا الوَعْدُ مُوَجَّهٌ لِلَّذِينَ يَثْبُتُونَ فِي **المَسِيحِ**. «إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يَثْبُتُ فِيَّ، يُطْرَحْ خَارِجًا كَالْغُصْنِ فَيَيْبَسْ». (يُوحَنَّا ١٥: ٦)

والاسْتِمْرَارُ فِي النِّعْمَةِ يَقُومُ عَلَى عِلاقَةٍ حَيَّةٍ وَدَائِمَةٍ **بِالمُخَلِّصِ**.

الخَلاصُ الحَقِيقِيُّ يَظْهَرُ فِي تَغْيِيرِ الحَيَاةِ

«إِذًا، إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي المَسِيحِ، فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ؛ الأُمُورُ العَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ، هَا قَدْ صَارَتْ جَمِيعُهَا جَدِيدَةً.» (٢ كورنثوس ٥: ١٧)

حَيَاةُ المُؤْمِنِ تُصْبِحُ شَهَادَةً حَيَّةً. وَلِهٰذَا يُوصِي الرَّسُولُ قَائِلًا: «تَمِّمُوا خَلَاصَكُمْ بِخَوْفٍ وَرَعْدَةٍ.» (فِيلِبِّي ٢: ١٢)

لَا خَوْفًا بَشَرِيًّا، بَلْ بِخُشُوعٍ وَاتِّضَاعٍ، لِئَلَّا نَفْقِدَ النِّعْمَةَ بِالإِهْمَالِ.

تَعْلِيمُ الكَنِيسَةِ: تَوازُنٌ بَيْنَ النِّعْمَةِ وَالحُرِّيَّةِ

اللهُ لا يُضَيِّعُ أَبناءَهُ، لٰكِنَّ الإِنْسانَ قَدْ يَبْتَعِدُ عَنْ أَبِيهِ السَّمَاوِيِّ. الخَلاصُ لا يُفْقَدُ بِسَبَبِ الضَّعْفِ، بَلْ يُهْمَلُ بِسَبَبِ اللَّامُبَالاةِ. «لِأَنَّنَا قَدْ صِرْنَا شُرَكَاءَ المَسِيحِ، إِنْ تَمَسَّكْنَا بِبِدَاءَةِ الثِّقَةِ ثَابِتَةً إِلَى النِّهَايَةِ.» (عِبْرَانِيِّينَ ٣: ١٤).

وعِنْدَما نَتَعَرَّضُ لِلتَّجَارِبِ أَوْ لِلظُّلْمِ دَاخِلَ الكَنِيسَةِ، لا نَتْرُكْ جَمَاعَةَ المُؤْمِنِينَ؛ فَالنَّاسُ يُخْطِئُونَ، أَمَّا **المَسِيحُ** فَلا.

المَحَبَّةُ هِيَ الضَّمَانُ الحَقِيقِيُّ لِلْخَلاصِ

«اِحْفَظُوا أَنْفُسَكُمْ فِي مَحَبَّةِ اللهِ، مُنْتَظِرِينَ رَحْمَةَ رَبِّنَا يَسُوعَ المَسِيحِ لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ.» (رِسَالَةُ يَهُوذَا ٢١)

الخَلاصُ هُوَ عَلاقَةٌ، وَحَيَاةٌ، وَشَرِكَةٌ مَعَ الإِلٰهِ الحَيِّ. وَمَنْ يَبْقَى قَرِيبًا مِنْهُ، لا يَضِيعُ أَبَدًا.

نعمة ربّنا **يسوع المسيح** ورحمته، لتكن معنا دائمًا.

مَعالِمَ التَّدبيرِ الإلٰهِيِّ بَعْدَ سُقوطِ الإنسانِ:

فَبِسَبَبِ **مَحَبَّةِ اللهِ** لِلإنسانِ وَإرادَتِهِ خَلاصَهُ، **تَجَسَّدَ الإبْنُ، أَقْنومُ الكَلِمَةِ مِنَ الثَّالوثِ الأَقْدَسِ**، لِيُصْبِحَ إنسانًا وَيُطيعَ حَيْثُ عَصى آدَمُ، فَيُصَحِّحَ زَلَّتَهُ وَيُنْقِذَ البَشَرِيَّةَ مِنَ الخَطيئَةِ. وَلِكَيْ يَتِمَّ ذٰلِكَ، اقْتَضى الأَمْرُ وُجودَ «شَخْصٍ بَشَرِيٍّ مُناسِبٍ» يَأْتي مِنْهُ الإبْنُ كَابْنِ الإنسانِ؛ فَكانَتِ **العَذْراءُ مَرْيَمُ** هِيَ ذٰلِكَ الشَّخْصَ المُصْطَفى. فَهِيَ، بِتَواضُعِها وَطَهارَتِها وَطاعَتِها، مَثَّلَتْ أَفْضَلَ ما يُقَدِّمُهُ الجانِبُ الإنْسانِيُّ لِلتَّعاوُنِ مَعَ النِّعْمَةِ، فَصارَتْ «بابَ التَّجَسُّدِ» الَّذي دَخَلَ مِنْهُ **المُخَلِّصُ** إلى تاريخِنا. وَعَلى هٰذا، فَإِنَّ الخَلاصَ في المَفْهومِ المَسيحِيِّ لَيْسَ شِعارًا مُجَرَّدًا، بَلْ هُوَ طاعَةُ «آدَمَ الجَديدِ» عِوَضًا عَنْ **عِصْيانِ آدَمَ الأَوَّلِ**، وَاقْتِدارُ النِّعْمَةِ عَلى أَنْ تَرْفَعَ طَبيعَتَنا **في المَسيحِ**. وَتَظَلُّ **مَرْيَمُ** الشَّاهِدَةَ الأَمينَةَ عَلى أَنَّ اللهَ يَطْلُبُ مِنَ الإنسانِ شَريكًا مُطيعًا لِإرادَتِهِ، لِكَيْ يَتِمَّ سِرُّ خَلاصِ العالَمِ.

إِنَّ **السَّيِّدَةَ العَذْراءَ**، تِلْكَ الابْنَةَ المُتَواضِعَةَ، كانَتْ تَمْتَلِكُ كُلَّ ما يَلْزَمُ أَنْ تَمْتَلِكَهُ لِكَيْ تَصيرَ **أُمَّ اللهِ**؛ إِذْ كانَتْ تَتَحَلّى بِجَميعِ الفَضائِلِ، وَبِكُلِّ ما يَنْبَغي أَنْ يُبْذَلَ مِنَ الجانِبِ البَشَرِيِّ. لَقَدْ كانَتِ **العَذْراءُ** مُؤَهَّلَةً لِتَصيرَ **أُمَّ اللهِ**.

وَبِالطَّبْعِ كانَ بِإِمْكانِنا أَنْ نَقُولَ أُمُورًا كَثيرَةً، وَأَنْ نَتَناوَلَ شَخْصِيَّةَ **والِدَةِ الإلٰهِ** كُلَّها، وَما تَتَحَلّى بِهِ مِنْ فَضائِلَ كَثيرَةٍ. لٰكِنْ لِنُصْغِ بِخاصَّةٍ إِلى فَضيلَتَيْنِ أَوْ ثَلاثٍ هِيَ الَّتي جَعَلَتْ، إِنْ جازَ التَّعْبيرُ، **اللهَ** يَضَعُ ثِقَتَهُ في هٰذِهِ البِنْتِ وَيَجِدُ فيها راحَتَهُ، لِكَيْ يَتِمَّ **سِرُّ الخَلاصِ** بِأَسْرِهِ.

كانَتْ **والِدَةُ الإلٰهِ** تَمْتازُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ **بِالعِفَّةِ وَالتَّواضُعِ وَالطّاعَةِ**. وَيُمْكِنُ لِلْمَرْءِ أَنْ يَقُولَ إِنَّ الإنْسانَ المُعاصِرَ، إِنْسانَ عَصْرِنا، يَحْتاجُ عَلى نَحْوٍ خاصٍّ أَنْ يَسْمَعَ وَيُنْصِتَ إِلى أَنَّ **العَذْراءَ**، لِكَيْ تَصيرَ **أُمَّ اللهِ** وَهٰكَذا يُمْكِنَ أَنْ يَتَحَقَّقَ **سِرُّ الخَلاصِ**، كانَ يَجِبُ أَنْ تَتَحَلّى بِهٰذِهِ الفَضيلَةِ، وَقَدْ كانَتْ مُتَحَلِّيَةً بِها، وَهِيَ **فَضيلَةُ العِفَّةِ**. وَعَلى نَحْوٍ خاصٍّ يَجِبُ عَلى الإنْسانِ المُعاصِرِ أَنْ يَنْتَبِهَ إِلى ذٰلِكَ.

لِنَقِفْ إِذًا، نَحْنُ أَبْناءُ هٰذِهِ الحِقْبَةِ، أَمامَ هٰذِهِ الحَقيقَةِ عَيْنِها؛ فَإِنَّنا كَثيرًا ما نَتَذاكى، وَنَظُنُّ أَنَّنا قَدْ وَجَدْنا الحَقَّ الآنَ، وَأَنَّ النّاسَ فيما مَضى لَمْ يَعْمَلوا عَلى نَحْوٍ سَوِيٍّ. عَلَيْنا أَنْ نَقِفَ وَنَتَأَمَّلَ هٰذِهِ الحَقيقَةَ. وَلا يَحِقُّ لَنا بِأَيِّ حالٍ أَنْ نَنْظُرَ إِلى هٰذا الأَمْرِ عَلى أَنَّهُ يَخُصُّ **مَرْيَمَ** فَقَطْ لِتَكُونَ مُؤَهَّلَةً لِأَنْ تَصيرَ **أُمَّ اللهِ**، أَمّا نَحْنُ فَنَعيشُ كَما نَشاءُ، وَنَلُوذُ بِها في صَلَواتِنا لِتُجْرِيَ مَشيئَاتِنا. **لَيْسَ الأَمْرُ كَذٰلِكَ.**

العَذْراءُ مَرْيَمُ تُمَثِّلُ البَشَرِيَّةَ وَتُسْهِمُ نِيابَةً عَنْها. لِذٰلِكَ يَنْبَغي أَنْ تَكُونَ البَشَرِيَّةُ كُلُّها نَقِيَّةً، وَأَنْ تَنْجَذِبَ إِلى **فَضيلَةِ العَذْراءِ**، أَيِّ الطَّهارَةِ، وَأَنْ تَقْتَدِيَ **بِمَرْيَمَ**، لِكَيْ تَسْتَجيبَ عِنْدَما تَأْتِي سَاعَةُ كُلِّ واحِدٍ **أَمامَ اللهِ**. لا يُريدُ **اللهُ** لِأَيِّ إِنْسانٍ نَقاءً أَقَلَّ. **العَذْراءُ** هِيَ الَّتي تَصْنَعُ البِدايَةَ؛ فَهِيَ تُقَدِّمُ نَفْسَها مِنْ جِهَةِ البَشَرِيَّةِ لِكَيْ يَتِمَّ سِرُّ الخَلاصِ: بِأَنْ **يَتَجَسَّدَ ابْنُ اللهِ فَيَصيرَ الإلٰهَ–الإنْسانَ رَبَّنا يَسوعَ المَسيحَ**، فَيَعيشَ، وَيُصْلَبَ، وَيَقُومَ، وَيَصْعَدَ إِلَى السَّمَاوَاتِ. هٰكَذا يَخْلُصُ العالَمُ، بِشَرْطِ أَنْ يُؤْمِنَ الجَميعُ في النِّهايَةِ **بِالْمَسيحِ**، وَأَنْ يَحْيَوْا كَما عاشَتِ **العَذْراءُ**، وَكَما عاشَ جَميعُ القِدِّيسينَ؛ فَذٰلِكَ **هُوَ الخَلاصُ**.

مَا هُوَ الخَلاصُ؟ يَقولُ بَعْضُ النّاسِ: «الخَلاصُ، الخَلاصُ»، وَهُم **مُقيمونَ في الخَطايا وَيَصْنَعونَ الخَطايا**. إِنَّ الخَلاصَ يَعْني أَنْ **تَخْلُصَ** مِنَ **الخَطيئَةِ**. نَقْرَأُ في الإنْجيلِ أَنَّ **المَسيحَ** جاءَ «لِيُخَلِّصَ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ» (مَتّى ١: ٢١). فَإِنْ لَمْ تَتَخَلَّصْ مِنَ الخَطيئَةِ، وَإِنِ اسْتَمْرَرْتَ تَقْتَرِفُ الخَطيئَةَ، فَلَمْ يَأْتِ الخَلاصُ إِلَى نَفْسِكَ، وَلَيْسَ لَكَ رَجاءٌ في خَلاصٍ.

كَيْفَ يَجْرُؤُ إِنْسَانُ اليَوْمِ، أَمّا فِيمَا يَخُصُّ فَضِيلَةَ العِفَّةِ، فَلَا يَحْسِبُ البَتَّةَ الحَقِيقَةَ وَالوَاقِعَ، وَمَا صَنَعَهُ اللهُ، وَمَا قَالَهُ اللهُ، وَكَيْفَ يَشَاؤُهُ اللهُ، وَكَيْفَ اسْتَجَابَتِ العَذْرَاءُ، وَكَيْفَ عَاشَتِ العَذْرَاءُ، وَكَيْفَ اتَّبَعَ القِدِّيسُونَ! إِنَّ إِنْسَانَ اليَوْمِ لَا يَهْتَمُّ وَلَا يَأْخُذُ ذٰلِكَ بِعَيْنِ الِاعْتِبَارِ. عَلَى الأَقَلِّ لَوْ كَانَ وَاعِيًا لَقَالَ مُعْتَرِفًا: «آهِ، كَانَ يَنْبَغِي أَنْ أَعِيشَ عَلَى نَحْوٍ آخَرَ، وَأَنْ أُفَكِّرَ عَلَى نَحْوٍ آخَرَ، وَأَنْ أَعْمَلَ عَلَى نَحْوٍ آخَرَ فِي هٰذَا المَوْضُوعِ، وَلٰكِنَّنِي إِنْسَانٌ ضَعِيفٌ وَأُخْطِئُ». وَلٰكِنَّهُ لَا يَفْعَلُ ذٰلِكَ، فَلَيْسَ الأَمْرُ عِنْدَهُ مُجَرَّدَ

عَدَمِ هٰذَا التَّفْكِيرِ، وَلَا مُجَرَّدَ مُخَالَفَةٍ لِلوَصِيَّةِ، بَلْ يَعْتَقِدُ أَنَّ مَا كَانَ يَجْرِي قَدِيمًا كَانَ خَطَأً، وَأَنَّ النَّاسَ يَوْمَئِذٍ كَانُوا مُتَأَخِّرِينَ لَا يَعْلَمُونَ مَاذَا يَصْنَعُونَ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا فِي ضَلَالٍ وَظُلْمَةٍ. أَمَّا اليَوْمَ فَقَدْ زَعَمْنَا أَنَّنَا وَجَدْنَا الحَقِيقَةَ وَوَجَدْنَا الصَّوَابَ، وَأَصْبَحَتِ الأُمُورُ كَمَا نَصْنَعُ نَحْنُ. هٰكَذَا يَظُنُّ النَّاسُ اليَوْمَ.

إِنَّ الكَنِيسَةَ قَامَتْ بِجِهَادَاتٍ لِتُحَافِظَ عَلَى **عِفَّةِ العَذْرَاءِ** بِلَا لَوْمٍ. «**يَا نَقِيَّةُ، يَا بِلَا دَنَسٍ، يَا طَاهِرَةُ**». لَيْسَتْ هٰذِهِ الأَلْفَاظُ تُقَالُ عِرْضًا، بَل مَعَ كَثْرَةِ مَا يُرَدَّدُ مِثْلُهَا يَبْقَى اللِّسَانُ قَاصِرًا فِي التَّرَاتِيلِ وَالصَّلَوَاتِ عَنْ إِيفَاءِ المَقَامِ حَقَّهُ. وَقَدْ جَاهَدَتِ الكَنِيسَةُ لِتُسَلِّمَ هٰذَا العَقِيدَةَ، **أَنَّ العَذْرَاءَ** كَانَتْ «**بَتُولًا قَبْلَ الوِلَادَةِ، وَفِي أَثْنَاءِ الوِلَادَةِ، وَبَعْدَ الوِلَادَةِ**». فَقَبْلَ أَنْ تَلِدَ كَانَتْ بَتُولًا، وَفِي سَاعَةِ المِيلَادِ ظَلَّتْ بَتُولًا، وَبَعْدَ وِلَادَةِ ابْنِهَا أَيْضًا بَقِيَتْ بَتُولًا. وَلَيْسَ هٰذَا تَدْقِيقًا مُتَعَسِّفًا كَمَا يَظُنُّ بَعْضٌ، كَلَّا، بَل هُنَا لُبُّ المَسْأَلَةِ. إِذْ كَانَ يَجِبُ ؛ عَلَى وَجْهِ الحَتْمِ ؛ أَنْ تَكُونَ **العَذْرَاءُ بِلَا دَنَسٍ**. تِلْكَ هِيَ القُرْبَانَةُ الكَامِلَةُ مِنَ الجَانِبِ البَشَرِيِّ. وَلَمْ يَجِدِ **اللهُ**؛ إِلَى ذٰلِكَ الحِينِ، وَلَنْ يَجِدَ فِيمَا بَعْدُ ؛ فَتَاةً أُخْرَى يُهَيِّئُهَا، **تَحْمِلُ هٰذِهِ** السَّجِيَّةَ، وَتَقْبَلُ أَنْ تَثْبُتَ عَلَى هٰذَا النَّقَاءِ، وَتَبْلُغَ فِيهِ دَرَجَةَ الكَمَالِ: **بِلَا دَنَسٍ، وَبِلَا عَيْبٍ، وَنَقِيَّةً نَقَاءً تَامًّا**.

«لِهٰذَا، **فِي كَنِيسَةِ الْمَسِيحِ**، كَانَتِ الخَطَايَا الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالعَلَاقَاتِ بَيْنَ الجِنْسَيْنِ خَارِجَ إِطَارِ الزَّوَاجِ، تُعَدُّ مُنْذُ القِدَمِ خَطَايَا فَادِحَةً، أَيًّا كَانَتْ: كَثِيرَةً أَمْ قَلِيلَةً، صَغِيرَةً أَمْ كَبِيرَةً. وَقَدْ **أَنْشَأَ اللهُ**، لأَنَّهُ إِلٰهٌ رَحِيمٌ، سِرَّ الزَّوَاجِ الْمُبَارَكَ، وَهٰذِهِ الزِّيجَةَ الْمُقَدَّسَةَ.، وَجَعَلَ فِيهَا شَرِكَةَ الشَّخْصَيْنِ وَإِنْجَابَ الأَوْلَادِ؛ وَجَعَلَ فِيهَا أَيْضًا تِلْكَ الحَيَاةَ الَّتِي فِيهَا مَا يُوَافِقُهَا مِنْ تَعْزِيَاتٍ فِي هٰذَا العَالَمِ المُحْزِنِ، لِكَيْ يَقْوَى الإِنْسَانُ عَلَى الاحْتِمَالِ. وَهٰكَذَا يَحْفَظُ الإِنْسَانُ نَقَاءَهُ أَيْضًا دَاخِلَ الزَّوَاجِ، فَ«الزَّوَاجُ مُكَرَّمٌ، وَمَضْجَعُهُ بِلَا دَنَسٍ» (عِبْرَانِيِّينَ ١٣ : ٤). وَلَيْسَتْ هٰذِهِ العِبَارَاتُ تُقَالُ عَرَضًا. غَيْرَ أَنَّ الزَّوَاجَ مُكَرَّمٌ، وَمَضْجَعَهُ بِلَا دَنَسٍ، وَلَيْسَ الأَمْرُ كَمَا يَقُولُهُ النَّاسُ اليَوْمَ، إِذْ قَدْ حَرَّفَ النَّاسُ الأُمُورَ تَحْرِيفًا تَامًّا، وَصَارُوا يَنْقَادُونَ وَيَنْسَاقُونَ حَسَبَ مَا يَشْعُرُونَ وَحَسَبَ مَا يَطْرَأُ لَهُمْ. يَا هٰذَا الإِنْسَانُ! لَا أَهَمِّيَّةَ لِمَا تَقُولُهُ أَنْتَ وَمَا تَظُنُّهُ أَنْتَ وَمَا تَفْعَلُهُ أَنْتَ؛ الْمُهِمُّ هُوَ مَا **يَقُولُهُ اللهُ**، وَهَلْ أَنْتَ تَسْتَجِيبُ لِمَا **يَقُولُهُ اللهُ**؟ فَإِنْ كَانَتْ لَدَيْكَ النِّيَّةُ أَنْ تَسْتَجِيبَ، **أَعَانَكَ اللهُ**.»

لِهٰذا، وبِما أَنَّنا وُجِدْنا نَعيشُ في العالَمِ المُعاصِرِ الَّذي فيه إِغْراءاتٌ بِشَأْنِ هٰذا الأَمْرِ، يَجِبُ على كُلِّ واحِدٍ، قَبْلَ أَنْ يُفارِقَ هٰذا العالَمَ، أَنْ يَفْحَصَ نَفْسَهُ جيِّدًا، وَأَنْ يُرَتِّبَ نَفْسَهُ تَرْتيبًا مُحْكَماً مِنْ هٰذِهِ الجِهَةِ. يَجِبُ أَنْ يَرْحَلَ كُلُّ واحِدٍ وَهُوَ بِلا دَنَسٍ. وَإِذا سَقَطْتَ وَأَخْطَأْتَ، فَلا طَريقَ آخَرَ: ما يَجِبُ أَنْ تَفْعَلَهُ هُوَ **أَنْ تَتوبَ، وَأَنْ تَعْتَرِفَ** اعْتِرافًا كامِلًا، وَلا تُخْفِي شَيْئًا. لِيَرَ **اللهُ** تَوْبَتَكَ فَيَغْفِرَ لَكَ، لأَنَّهُ لِهٰذا وَجَدَ الفَتاةَ المُناسِبَةَ الَّتي مِنْها أَخَذَ الطَّبيعَةَ البَشَرِيَّةَ وَصارَ إِنْسانًا، وَصُلِبَ، وَقامَ، إِلى آخِرِهِ، لِيُخَلِّصَ الإِنْسانَ الَّذي سَيَتوبُ. لِيُخَلِّصَهُ مِنَ الخَطِيَّةِ، وَيَجْعَلَ المُتَدَنِّسَ طاهِرًا، وَيَشْفِيَ المَريضَ بِالخَطِيَّةِ، وَعُمومًا أَنْ يُخَلِّصَ مَنْ كادَ أَنْ يَهْلِكَ.

عَنِ الرُّوحِ الْقُدُسِ: هٰذَا الرُّوحُ يُخْلِقُ الوِلَادَةَ الرُّوحِيَّةَ؛ هٰذَا الرُّوحُ، إِذْ هُوَ حَكِيمٌ جِدًّا وَمُحِبٌّ جِدًّا لِلْبَشَرِ، إِنْ أَخَذَ رَاعِيًا أَقَامَهُ مُرَبِّيًا يُرَتِّلُ دَائِمًا **لله**، وَيُسَكِّنُ الأَرْوَاحَ الشِّرِّيرَةَ، وَيَجْعَلُهُ مَلِكًا عَلَى إِسْرَائِيلَ. وَإِنْ وَجَدَ رَاعِيَ مَعْزٍ يَقْطَعُ بِيَدَيْهِ ثِمَارَ الجُمَّيْزِ، رَفَعَهُ إِلَى مَقَامِ النُّبُوَّةِ؛ أُذْكُرْ دَاوُدَ الْمَلِكَ وَالْمُرَبِّيَ وَعَامُوسَ النَّبِيَّ. وَإِنْ تَنَاوَلَ طِفْلًا صَغِيرًا مَمْلُوءًا فَطَانَةً جَعَلَهُ، عَلَى رَغْمِ صِغَرِ سِنِّهِ، قَاضِيًا لِلشُّيُوخِ؛ أَلَمْ يَكُنْ ذٰلِكَ مَعَ دَانِيآلَ الَّذِي ظَهَرَ كَذٰلِكَ غَالِبًا لِلْأُسُودِ فِي الْجُبِّ الَّذِي أُلْقِيَ فِيهِ؟ وَإِنْ وَجَدَ صَيَّادِينَ اسْتَمَالَهُمْ وَقَادَهُمْ إِلَى **الْمَسِيحِ** لِيُقِيمَهُمْ رُسُلًا يَصْطَادُونَ الْعَالَمَ **بِالْكَلِمَةِ الإِلٰهِيَّةِ**؛ أُذْكُرْ **بُطْرُسَ وَأَنْدَرَاوُسَ وَابْنَيْ الرَّعْدِ، يَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا**، الَّذِينَ نَقَلُوا بِقُوَّةٍ عَظِيمَةٍ **تَعَالِيمَ الرَّبِّ** الرُّوحِيَّةَ. وَإِنْ وَجَدَ عَشَّارِينَ رَبِحَهُمْ وَجَعَلَهُمْ **تَلَامِيذَ الرَّبِّ**، وَأَقَامَهُمْ رُسُلًا يَسْعَوْنَ دَوْمًا لِخَلَاصِ النُّفُوسِ؛ أَلَا يُثْبِتُ ذٰلِكَ **مَتَّى**، الَّذِي كَانَ أَمْسِ عَشَّارًا وَأَصْبَحَ الْيَوْمَ **مُبَشِّرًا بِالإِنْجِيلِ**؟ وَإِنِ اقْتَرَبَ مِنْ مُضْطَهِدِينَ مُمْتَلِئِينَ غَيْرَةً نَارِيَّةً عَلَى الْمَسِيحِيِّينَ حَوَّلَ غَيْرَتَهُمْ إِلَى أَعْمَالٍ عَجِيبَةٍ فِي سَبِيلِ الإِيمَانِ، وَجَعَلَ مِنْ **شَاوُلَ بُولُسَ**؛ وَتَكُونُ التَّقْوَى الَّتِي يُسَاقُونَ إِلَيْهَا بِقَدْرِ مَا كَانَتِ الشُّرُورُ الَّتِي عَاشُوا فِيهَا عَظِيمَةً.

هٰذَا الرُّوحُ أَيْضًا **رُوحُ الْوَدَاعَةِ**، وَهُوَ فِي الْحِينِ نَفْسِهِ يُنَبِّهُ بِقُوَّةٍ الَّذِينَ يُخْطِئُونَ لِيَسْلُكُوا سَبِيلَ الْقَدَاسَةِ؛ فَلْنَنَلْ نَحْنُ أَيْضًا خِبْرَةَ فِعْلِهِ الْمُمْتَلِئِ وَدَاعَةً لا غَضَبًا، بِأَنْ نَعْتَرِفَ بِرَغْبَتِهِ الْعَظِيمَةِ فِي أَنْ يَقُودَنَا **إِلَى التَّوْبَةِ**، وَنَتَجَنَّبَ بِكُلِّ قُوَّتِنَا الْخَطِيئَةَ الَّتِي قَدْ تَجْعَلُنَا غَيْرَ تَائِبِينَ، وَلَا نُرِيدَ أَنْ نَرَاهُ غَاضِبًا عَلَيْنَا غَيْرَ غَافِرٍ، لِأَنَّنَا نَبْقَى عَلَى عِنَادِنَا دُونَ تَوْبَةٍ.

هٰذَا قَدْ بُشِّرَ بِهِ عَلَى أَلْسِنَةِ الْأَنْبِيَاءِ، كَمَا يُظْهِرُ كَلَامُ الْكِتَابِ: «**رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ...**» وَ«**نَزَلَ رُوحُ الرَّبِّ فَقَادَهُمْ**»، وَيُسَمَّى أَيْضًا «**رُوحَ الْمَعْرِفَةِ**»، ذٰلِكَ الَّذِي مَلَأَ **بَصَلْئِيلَ** مُهَنْدِسَ الْمَسْكَنِ؛ وَقَدْ وُعِدَ بِهِ قَدِيمًا عَلَى لِسَانِ **يُوئِيلَ**، ثُمَّ **مِنَ الرَّبِّ يَسُوعَ** فِي زَمَنِ حُضُورِهِ عَلَى الْأَرْضِ. وَكَانَتْ حُضُورِيَّةُ الرُّوحِ سَبَبًا لِأَنْ يُمَجَّدَ **مِنَ الآبِ** وَأَنْ يُمَجِّدَ **هُوَ الآبَ**؛ بَلْ وَوَعَدَ **الرَّبُّ**؛ مَا أَرْوَعَ وَأَغْنَى مَوَاعِيدَهُ!؛ بِأَنْ يَبْقَى مَعَنَا دَائِمًا، وَأَنْ يُشَارِكَنَا فِي الأَبَدِيَّةِ، فِي هٰذِهِ الْحَيَاةِ وَالآتِيَةِ أَيْضًا؛ وَسَنَصِيرُ مُسْتَحِقِّينَ لِحُضُورِهِ وَلِلتَّمَتُّعِ بِخَيْرَاتِ «هُنَا» وَ«هُنَاكَ» إِذَا مَا حَفِظْنَا؛ بِحَيَاتِنَا الْمُحْتَرِسَةِ؛ قُرْبَهُ مِنَّا، وَلَمْ نُبَاعِدْهُ عَنَّا بِخَطَايَانَا.»

الإصحاح السادس:

تابع لعظة السادسة عشر: (١كو٦:٩-١١)

٣) «أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّنَا سَنَدِينُ مَلاَئِكَةً؟ فَبِالأَوْلَى أُمُورَ هَذِهِ الْحَيَاةِ؟» (١كو ٦: ٣).

يقول البعض إنه يُلمح هنا إلى الكهنة، إلَّا أنَّ مثل هذا الفكر مستبعد تمامًا، لأنه يتكلم هنا عن **الشياطين**. فلو أنَّه يتحدَّث عن **كهنة فاسدين**، لكان قد ألمح إلى هؤلاء من قبل، عندما قال: «العالم يُدان بكم»، لأن الكتاب اعتاد أن يدعو الأشرار بلَفظة العالم، وما كان له أن يُكرِّر ذلك للمرة الثانية، ولا كان سيتخذ هذا الموقف بعد ذلك، مادام أنه سيتحدَّث عن شيءٍ مهم. لكنه يتحدث عن أولئك الملائكة الذين قال المسيح عنهم: «اذْهَبُوا عَنِّي يَا مَلاَعِينُ إِلَى النَّارِ الأَبَدِيَّةِ الْمُعَدَّةِ لإِبْلِيسَ وَمَلاَئِكَتِهِ» (متّى ٢٥: ٤١).

أيضًا يقول **القديس بولس**: «خُدَّامُهُ أَيْضًا يُغَيِّرُونَ شَكْلَهُمْ كَخُدَّامٍ لِلْبِرِّ.» (٢كو١١:١٥). أي عندما تكون هذه القوات غير الجسدانيَّة في وضع أقلّ منها نحن البشر الذين نحمل جسدًا، فمن الواضح أنهم سيُخضعون لعقابٍ أشدّ بسبب سقوطهم وأعمالهم الشريرة، غير أن البعض يختلفون بعد، ويصرون على أن **القديس بولس** هنا، يقصد الكهنة. فنسأله: أية كهنةٍ يقصد، هل هم أولئك الذين عاشوا بطريقةٍ دنيويةٍ بشكلٍ كامل؟ وكيف يقول: «أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّنَا سَنَدِينُ مَلاَئِكَةً؟ فَبِالأَوْلَى أُمُورَ هذِهِ الْحَيَاةِ!» (١ كو ٦: ٣). فهل يذكر الملائكة في مواجهة أمور هذا العالم؟ هذا صحيح، لأنه بسبب امتياز طبيعتهم، لا يحتاجون إلى أيّ شيءٍ من أمور هذا العالم.

«فَإِنْ كَانَ لَكُمْ مَحَاكِمُ فِي أُمُورِ هذِهِ الْحَيَاةِ، فَأَجْلِسُوا الْمُحْتَقَرِينَ فِي الْكَنِيسَةِ قُضَاةً!» (١كو٦:٤).

يقول ذلك لأنَّهُ يريد أن يُعلِّمنا وبصورةٍ مطلقة، أنَّهُ أيًا كان الموضوع المطروح، فإنه لا ينبغي أن نُسلِّم أنفسنا للوثنيين، لكي يُحاكموننا، وذلك بعدما أشار قبلًا إلى ظاهرة التناقض في السلوك (أي أن تكونوا بارّين وتُحاكَموا لدى محاكم الأمم) والرغبة في إيجاد حلٍّ، فربما يقول أحد: أَلا يوجد بينكم حكيم، أو قادر أن يُحاكم البار؟ إنَّ الجميع بالنسبة لكم، هم في وضع لا يُؤهَّلهم للحكم عليكم، لأنكم اسمَى منهم، ما معنى هذا؟ فإن قال أحد لا يوجد حكيم، فهل تسنِدوا قضاياكم هكذا من قِبَلِ الأدنياء.

«لِتَخْجِيلِكُمْ أَقُولُ» (١كو ٦:٥).

إنه بهذا يلوم ويوبِّخ مثل هذه التناقضات كمبرر لا حاجة له، ولذلك أضاف:

«أَهكَذَا لَيْسَ بَيْنَكُمْ حَكِيمٌ» (١ كو ٦: ٥).

هل إلى هذه الدرجة تفتقرون إلى مَن هو حكيم، أهكذا أصبح وجود حكماء بينكم نادرًا للغاية؟ وما أضافه بعد ذلك يصيب بالأكثر، لأنه بعدما قال «أَهكَذَا لَيْسَ بَيْنَكُمْ حَكِيمٌ» أضاف « وَلاَ وَاحِدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَقْضِيَ بَيْنَ إِخْوَتِهِ؟» (١ كو ٦:٥). أي عندما يُحاكم الأخُ من أخوه، فإن ذلك الذي يتوسّط بين الاثنين في القضيّة المطروحة، لا يحتاج إلى حكمة كبيرة وقدرات فائقة، لأنَّ الرابطة النفسيَّة والقرابة الإيمانيَّة تساهمان كثيرًا في حلّ مثل هذه المشاحنات.

«لكِنَّ الأَخَ يُحَاكِمُ الأَخَ، وَذلِكَ عِنْدَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ!» (١كو ٦:٦).

أرأيت كيف أنَّهُ أدان الذين يَحكُمون عمدًا، إذ دعاهم «**ظالمين**»، وإلى هنا لم يكن قد أخجل المؤمنين، بأن يدعو القُضاة «غير المؤمنين»، لأنَّهُ بالحقيقة هو أمرٌ مُرعب للغاية، إذا كان الكاهن لا يستطيع أن ينجح في أن يُصالِح بين الإخوة، حتى أنهم يضطرّون أن يَلجأوا إلى الأمم، وحين يقول «المُحتقرين» لم يقل إنَّهُ ينبغي أن يضعوا المحتقرين كقضاة لهم، ولكنه يُوبِّخ ويبكت هؤلاء، بمعنى أنه يجب أن يطرحوا قُضيتهم لدى أناس قادرين على أن يَحكموا بالعدل، وهذا ما أعلنه بقوله «أَهكَذَا لَيْسَ بَيْنَكُمْ حَكِيمٌ». وبالأكثر فهو يُلجمهم قائلًا حتى وإن كان لا يوجد بينكم مَن هو حكيم، كان ينبغي أن تطرحوا القضيّة إلى غير الحكماء، على أن يحكُم الأمميون،

في الموضوع محل النزاع. لأنّه كيف لا يكون أمرًا غريبًا ومُستهجَنًا أن يُنشَب صِدام داخل البيت الواحد، ومع هذا لا يدعون اي انسان غريب ليكون حكمًا فيما بينهم، بل ويخجلون بشدة لو أنّ ما يَحدث بينهم داخل البيت، قد كشفَ أمام الغرباء. فإن تعلَّقَ الأمرُ بالكنيسةِ والتي هي كنزُ الأسرارِ الخفيَّة، ألا يكون من الغريبِ أن يُعلِنوا كلَّ شيءٍ أمامَ الأمم؟ «ولكنَّ الأخَ يُحاكِمُ الأخَ، وذلك عند غير المؤمنين؟»

الجريمةُ هنا مزدوجةٌ.

أولًا: إنَّه قد ينشأ عن ذلك مشكلةٌ تتعلَّقُ بمن يمنحُ العدالة.

ثانيًا: إنهم يلجأونَ في النزاعاتِ إلى غيرِ المؤمنين.

أي إنَّه إذا كانَ لجوءُ الأخِ لأن يُحاكَمَ لدى غيرِ المؤمنين، يُعتبَرُ خطيَّةً في حدِّ ذاتِه، فكيف يمكن أن يُصفحَ عن ذلك؟

يتبع في العدد القادم

الأيقونة العجائبية لوالدة الإله

«سريعة الاستجابة» — دير دوخيارِيّو - جبل آثوس، اليونان

على يمين مدخل مائدة الدير (الطَرابيزا)، وُضع مقام خاصّ لتكريم والدة الإله، براكليسي صغير، حيثُ تستقرُّ الأيقونة العجائبية المسماة «غورغوبيكوس» أي (سريعة الاستجابة). ويقابلها من الجهة الأخرى كنيسة صغيرة تحمل الاسم نفسه.

في سنة *1664*، وبينما كان الراهب نيلوس مسؤول المائدة (التَرَبَزاري)، يعبر كعادته أمام الأيقونة حامِلاً مشعلاً مشتعلاً ليدخل إلى المائدة، سمع صوتًا يقول له:«فيما بعد، لا تمرَّ من هنا بهذا المشعل الذي يُدخِّن أيقونتي».

لكن الراهب لم يفهم مصدر الصوت، ولم يُلقِ له بالًا، واستمرَّ في عمله كما اعتاد. وبعد بضعة أيّام، وفي التوقيت نفسه الذي سمع فيه النداء الأوّل، سمع صوتًا آخر يوبّخه قائلاً: «أيّها الراهب، إلى متى تدخِّن صورتي بلا وقار وبإهانة؟»

وفي اللحظة نفسها فَقَدَ بصره.

حينها تذكَّر الصوت السابق، وفهم أنّه لم يُعِر انتباهًا لكلام والدة الإله، وأنَّ ما أصابه كان عقابًا عادلًا.

ومنذ ذلك الوقت، بقي الراهب الكفيف واقفًا في مقعد مُقابل للأيقونة، يتضرّع إلى والدة الإله كي تغفر له وتعيد إليه نور عينيه. وبعد مدّة من التوبة والدموع، سامَحته السيّدة العذراء وشفته، وقالت له:

«أنا سيّدة هذا الدير، والدة الإله سريعة الاستجابة، أستجيب بسرعةٍ للذين يدعون اسمي بإيمان».

وقد جاءت تسمية الأيقونة: «غورغوبيكوس» «*Γοργοϋπήκοος*» أي «سريعة الاستجابة» للدلالة على سرعة معونة العذراء واستجابتها لطلبات المؤمنين الذين يلتجئون إليها.

فبشفاعة والدة الإله يا مخلِّص خلصنا.

دير دوخيارِيو العامر للروم الأرثوذكس

توزّع هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح

المحرّر المسؤول:
هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

كفركنا – الشارع الرئيسي – ص . ب . ٦١٩
e-mail: light_christ@yahoo.com
http://lightchrist.org/bulletins.html

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة
في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:
IBAN: IL480127260000000111122